دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تطور مفهوم العلم عند الفارابي من خلال كتابه إحصاء العلوم
المؤلف الرئيسي:	ربيعو، بشير محسن
مؤلفين آخرين:	عزوز، رضا(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2002
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 101
رقم MD:	927005
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	العلم، كتاب: إحصاء العلوم، الفارابى، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، ت. 339 هـ.، العلوم عند العرب، التراث العربي، التراجم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/927005

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البـــــــاب الأوّل

الفصـــل الأوّل : مفهـــوم العلـــم ومفهـــوم الصّنـــاعة عنـــد أرسطـــو (322. ق. م) [19] :

لكي نعـــرف كيـــف أقـــام أرسطـــو منهجـــه الفلسفـــي يـــجب أن نتعـــرّض أوّلا إلى خطـــوط الأزمـــة الّـــتي إنتهـــى إليهـــا الفكـــر اليونـــاني بعد النّقـــد الـــهادم الّـــذي وجهـــه السفسطـــائيّون إلى العلـــم والـــمعرفة، فجعلـــوا من الـــمستحيل إقامـــة أيّ نـــوع من العلـــم أو الـــدّراسة حتّى إمكـــان التّفـــاهم بين الأفـــراد في شـــؤون الـــحياة [20].

لقـــد إتّـــجه الطّبيعيّـــون قبـــل سقـــراط Socrate .(399 ق. م) [21] إلى الـــواقع المـــحسوس وردوا الأشيـــاء إلى أصولـــها البسيطـــة أي إلى العنـــاصر الأوليّـــة الأربعـــة، مثـــل الـــماء والـــهواء والتّـــراب والنّـــار.

---

[19] Altman (Robert) encyclopédia unviersalis Paris, France 1996 Corpus 2 p.959.

[20] الـــدّكتور أبـــو ريّـــان مـــحمّد علي : تـــاريخ الفكـــر الفلسفـــي أرسطـــو والـــمدارس الإســـكندريّة، دار الـــمعرفة الـــجامعيّة، 1984 ط 3، ج 2، ص 25.

[21] أنظـــر : Alatman (Robert), ibid, Corpus 21, p 233.

وجـاء الأيليّـون فيمـا بعـد وأثـاروا الشّك في الـمعرفة الـحسيّة متـأثّرين في ذلك بالسفسطـائيّـين وهـرقليطـس، فـدلّلوا على أنّ الـمحسوس إنّـما يتضمّـن في ذاتـه صفـات متضـادّة، كالـحارّ والبـارد، والأبيـض والأسـود، فـلا تستطيـع أن تعبـر النّهـر الـواحد مـرّتين حسـب رأي هـرقليطس ...[22]

وإذن فقـد إنتهـى الـمطاف بالفكـر اليونـاني إلى الأزمـة الفكـريّة الخطيـرة سيكـون على سقـراط أن يـحاول الـخروج منهـا.

وسقـراط في حقيقـة أمـره كان ميّـالا بطبعـه إلى الأمـور الأخـلاقيّة ولذلك كانت منـاقشته تـدور حـول مسائـل أخـلاقيّة مثـلا : العـدالة، التّقـوى والشّجـاعة، العفّـة، والفضيلـة.

وأخيـرا فإنّ من طبيعـة الأمـور الأخـلاقيّة أنّـها تكـون متـداخلة فيمـا بينهـا فالكـلّ الأخـلاقي يشيـر إلى الأجـزاء، لا تنفصـل عن الكـلّ وبـمعنى آخـر فإنّ الكـلّ الأخـلاقي ليس كـلاّ مـجموعيّا تتـراصّ أجـزاؤه بـل هو كـلّ متـداخل مندمـج، وعلـى أسـاس هـذا التّصـوّر الـجديد للأمـور الأخـلاقية وضـع سقـراط منهجـه ...

[22] الدكتور أبو ريان محمد علي : م. س. ص 25

وكلّ فلسفـة تقـوم على هـذا التّصـوّر تتبـع نفس الـمنهج الّـذي إتبعـه سقـراط وتنتهـي إلى نتائـج كليّـة مثل موضوعـات الأخـلاق، وذلك مـا حقّقـه أفـلاطون إذ أنّـه نقـل الكلـيّ الأخـلاقيّ عند سقـراط وجعلـه أسـاسا لفلسفتـه الـمثاليّة، مـمّا أثـار كثيـرا من الصّعوبـات الّـتي سيـردّ أرسطـو عليهـا بالتّفصيـل في ثنـايا مـذهبه.

هذا هـو مـجمل الـموقف التّصـوّري الّـذي إنتهـى إليـه أرسطـو بعـد أن عاصـر فكـر أفـلاطون وتلقّـى تعـاليمه[23].

فكيف عـالج الـمعلّم الأوّل (يعنـي أرسطـو) مسـألة العلـم ومسـألة الصّنـاعة ؟

أ – مفهـــوم العلـم :

لقـد إتّسعـت فلسفـة أرسطـو لتشمـل نظريّـات دقيقـة وعميقـة في الـمعرفة بصفـة عـامّة وفي العلـم بصفـة خـاصّة، فبحـث في مسألـة العلـم وبيّن لنـا مـا هو العلـم، ومـاهيّته وكيـف يتحقّـق و مـاهي الأحـوال الّـتي يـجب فيهـا أن يتحقّـق، ومـا شـروطه، ومـا خصـائصه، ومـا الـمميّزات الّـتي تـحدّد طبيعـة العلـم ... الخ.

[23] أبـو ريّـان محمّد علي : م. س. ص 29.

فعنـد الـرّجوع إلى بعـض كتبـه الـهامّة مثـل كتـاب الـميتافيزيقا، كتـاب الأرغـانون، كتـاب الأخلاق ... الخ، نـجد أنّ أرسطـو قـد خصّـص العديـد من الصّفحـات يتحـدّث فيهـا عن الـمعرفة بصفـة عـامّة وعن العلـم بصفـة خـاصّة.

ويقـول في كتـاب الأخـلاق حـول طبيعـة العلـم : "وطبيعـة العلـم (لـو إستعملنـا هـذا اللّفـظ بـمعناه الدّقيـق، مهملين الـمعاني الـمنجرة عن مـجرّد الـمشابهة)، تصـدر بوضـوح عن الإعتبـارات التّـالية : نـحن نـدرك أنّ الأشيـاء الّـتي نعلمهـا لا يـمكن أن تكـون بـخلاف ما هي ... فمـوضوع العلـم يـوجد إذن بالضّـرورة، وهـو تبعـا لذلك سـرمدي ... يضـاف إلى ذلك أنّنـا نتصـوّر عـادة أنّ كل علـم يقبـل التّعلّـم، وأنّ موضـوع العلـم يـمكن أن يتعلّـم ... وهكـذا نـجد أنّ العلـم إستعـداد قـادر على أن يبـرهن [24].

ومـن هـذا تظهـر لنـا العـلاقة الّـتي تـربط بين العلـم والـمعرفة البـرهانيّة في مفهـوم أرسطـو للعلـم والّـتي سـوف نتحـدّث عنهـا بالتّفصيـل فيمـا بعد.

---

[24] أرسطـو طـاليس : الأخـلاق ، ترجـمة إسحـاق بـن حنيـن، حقّقـه وشـرح وقـدّم لـه، الدّكتـور عبـد الرّحـمان بـدوي وكالـة الـمطبوعـات ، الكـويت، الطّبعـة الأولى سنـة 1979 ص 211 –212.

وحتّى تتـوضّح لنـا مـاهيّة العلـم عنـد أرسطـو، فيجـب أن نعـرف "مـا ليس بعلـم" في تصـوّره .

أوّلا : يذهـب أرسطـو إلى أنّ الإحسـاس ليس العلـم، وإنّ الـمعرفة الـحسيّة تتميّـز تـماما عن الـمعرفة العلميّـة، فالأولى تتنـاول الأحـداث الـمحتملة الـوقوع في الـزّمان والـمكان، أمّـا الـمعرفة العلميّـة فتتنـاول الأشيـاء الّـتي هي خـارج الفضـاء، وخـارج الـزّمن [25].

ولـهذا السّبـب أنكـر أرسطـو الـحصول على العلـم بالبـرهان عن طريق الـحسّ، وذلك أن الـحسّ إنّـما يـدرك الأشخـاص المـحدودة الـوجود بالـزّمان والـمكان، و أمـّا العلـم بالبـرهان فإنّـما يكـون على الأمـر الكلـيّ وبالأمـر الكلـيّ والأمـر الكلّـي هو في كـلّ شخـص وفي كلّ زمـان [26].

إذن نـلاحظ هنـا أنّ الـمعنى الكليّ "هـو أسـاس الـحصول عل العلـم بالبـرهان ويـرر قـوله هـذا بـمثالين : أوّلـهما ريـاضي وثـانيهما فـريائي : ويقـول في الـمثال الأوّل : "ولـما كان هكـذا لـو أحسسنـا مثـلا من هـذا الـمثلّث أنّ زوايـاه مساويـة لقـائمتين لـما كان هـذا الإحسـاس هو الّـذي

---

[25] رنيـه تـاتون ص 263

[26] جيـرار جهـامي : ابن رشـد تلخيـص منطقـي أرسطـو، الـمجلّد الـخامس كتـاب الانـالوطيقـي الثّـاني أو كتـاب البـرهان، ص 445.

يفيدنـا أنّ زوايـا كلّ مثلّـث مسـاويّة لقـائمتين إذ كـان الإحسـاس إنّـما كان لـهذا الـمثلّث الـمشار إليـه الـجزئي والعلـم يكـون الـمثلّث الكلّي "[27].

أمّـا الـمثال الثّـاني فيقـول فيـه أرسطـو" ولـهذا السّبـب بعينـه لـو إتّفـق أنّ كنّـا فـوق مـوضع القمـر حتّى نشـاهد كسـوفه بقيـام الأرض بينـه وبيـن الشّمـس لـمّا كان يـحصل لنـا من هذه الـمشاهدة العلـم بالسّبـب في كسوفـه وذلك أنّ العلـم بالسّبـب إنّـما يـحصل من جهـة الأمـر الكلّـي والـحسّ لا يـدرك الكلّي ..."[28].

وهنـا فمن الضّـروري أن نـذكر مـا كان نقطـة الخـلاف بين بعـض الشّـراح والبـاحثين لفلسفـة أرسطـو، وموضـوع هـذا الخـلاف ليـس إلاّ مـا قـاله أرسطـو حـول عـدم الـحصول على العلـم الـحقيقيّ (أي العلـم بالبـرهان) عن طـريق الـحسّ "لأنّ الـحسّ لا يـدرك الكليّ ..." ثـمّ بعد ذلك يـرجع أرسطـو ويقـول أنّـه "من الـممكن أن يقـع لنـا الأمـر الكليّ عن طـريق الـحسّ "لأنّ الـحسّ وإن كان لا يـدرك الأمـر الكليّ فإنّ الكليّ إنّـما يـدركه العقـل من قبـل تكـرار الشّخـص على الـحسّ دفعـات كثيـرة حتّى

[27] جيـرار جهـامي : ص 445.

[28] ن. م : ص 445.

يـــجتمع من ذلك التّكـــرار في نفس الأمـــر الكليّ [29]. ويـــوضّح قولـــه هذا بـــمثالـــه الشّهيـــر ويقـــول "مثـــل مـــا يعـــرض في الـــجهاد عندمـــا يتحـــزّم الصّف بإنـــحزام الـــمجاهدين أن يعـــود واحـــد فيقـــف ثـــمّ ثان، ثـــمّ ثـــالث حتىّ يكمـــل الصّف، وهكـــذا حـــال الـــحدوس الكليّ عن الـــحسّ ...[30].

فيـــرى بعـــض العلمـــاء والبـــاحثين أنّ هذه الفكـــرة لـــم تكـــن واضحـــة عند أرسطـــو، وأكثـــر من ذلك يـــرى البعـــض الآخـــر أنّـــها متنـــاقضة.

لكن جـــمال الـــدّين العلـــوي مثـــلا قد قـــام بتـــأييد وتوضيـــح مـــا قـــاله أرسطـــو في كتابـــه نظـــريّات البـــرهان و دلالاتـــه "يقـــول العلـــوي" الـــحسّ وإن كان لا يـــدرك الكلـــيّ، فـــإنّ الكليّ لا يدركـــه العقـــل من نفســـه لا بـــدّ لـــه من ذلك من الـــحسّ". أعنـــي أن العقـــل لا يـــدرك الكليّ إلاّ بعـــد تكـــرار الـــجزئيّ عـــلّ الـــحسّ مـــرّات كثيـــرة فيجتمـــع منهـــا في العقـــل الـــمعنى الكليّ بفعـــل العقـــل نفســـه، ولكنّـــه فعـــل يتّخـــذ مسلـــك آخـــر غيـــر مسلـــك الـــحسّ" [31].

وفي دراستـــه حـــول نظريـــّات العلـــم عند أرسطـــو يقـــول Granger : "إنّ وصـــفا سيكولوجيـــّا معبّـــرا عن الإنطـــلاق عن الـــمستوى الإحســـاس إلى مستـــوى

---

[29] جيـــرار جهـــامي : م. س. ص 445.

[30] نـ. م.: ص 490.

[31] العلـــوي جـــمال الدّيـــن : "نظـــريّات البـــرهان ودلالتهـــا ..."

الفكـــر الكليّ لكفيـــل بـــأن يبـــرز في نفـــس الـــوقت الـــحاجة إلى تـــدخّل أشكـــال دنيـــا للمعـــرفة كتهميـــش الأشـــكال العليـــا وتتـــواصل هذه الـــحركة الثّنـــائيّة وهكـــذا تتصـــالح نصـــوص بـــدت متنـــاقضة لأوّل وهلـــة حيـــث تعبّـــر"عن أنّ الإحســـاس ليـــس علمـــا من جهـــة ومن جهـــة أخـــرى أنّنـــا لا يـــمكن أن نفكّـــر دون إحســـاس" [32].

وتأسيســـا على ذلك كلّـــه يـــمكن القـــول أنّ أرسطـــو لا ينكـــر وجـــود عـــلاقة إيـــجابية بين العلـــم والـــحس، ويـــؤكّد ذلك بقـــوله "من فقـــد حـــاسة مـــا، فقـــد، فقـــد جنســـا من العلـــم" [33] بعبـــارة أخـــرى : الـــحسّ ولـــو كان ليـــس العلـــم، فـــإنهّ نقطـــة إنطـــلاقه.

ثانيـــا : يـــرى أرسطـــو أنّ هنـــاك فرقـــا بين العلـــم والظّـــن، ســـواء كان هـــذا الأخيـــر من الصّـــادق أو الكـــاذب، والظّـــن بالنّسبـــة إليـــه هـــو"أن يعتقـــد في الشّيء أنّـــه كذلك أو ليس كـــذلك مع أن نعتقـــد فيـــه أنّـــه يـــمكن أن يكـــون بـــخلاف مـــا هو عليـــه" [34] ولـــهذا السّبـــب بعينـــه قـــال أرسطـــو إنّ "العلـــم يـــخالف الظّـــن الصّـــادق من قبـــل أن العلـــم يكـــون في الأمـــر الكليّ

[32] Giles Gaston Granger : « La Théorie aristotélicienne de la science »in collection : Analyses et raisons (collection dirigée par Martial Guéranlt).1976 p32

[33] جيـــرار جهـــامي : م. س. ص 446.

[34] ن. م. : ص 446.

الضّـروري... والضّـروري هو الشّيء الّـذي هو على حـالة مـا وغيـر مـمكن أن يكـون بـخلاف تلك الحـال. وأمّـا الظّـن الصّـادق فـإنّه يكـون أوّلا وبالـذّات للأمـور الـممكنة، وذلك أنّـه لـمّا كان هـاهنا أشيـاء صـادقة ومـوجودة، غيـر أنّـه يـمكن أن تكـون لي خلاف مـاهي عليه، فبين أنّـه ليس يـمكن أن يكـون في هـذه العلـم".

لكـن رغـم ذلك يـرى أرسطـو أنّـه من الـممكن أن يقـع لنـا ظـّن صـادق بأمـور ضـروريّة إلاّ أنّ في هـذا الـحال فالعلـم والظّـن يكونـان واحـدا بالـموضوع لا بالإعتقـاد، ويقـول : "إذا كان العلـم والظّـن إنّـما يـمكن أن يكونـا واحـدا من جهـة الـموضوع لا من جهـة الإعتقـاد، فظـاهر أنّـه لا يـمكن أن يكـون الإنسـان واحـدا في شيء واحـد إعتقـاد أنّـه لا يـمكن أن يكـون بـخلاف مـا هو عليه، وإعتقـاد أنّـه يـمكن أن يكـون بـخلاف ما هو عليه فـإنّ ذلك مستحيل"[35]، بعبـارة أخـرى، فـإنّ العلـم بطبيعتـه لا يقبـل التّنـاقض في ذاتـه وعلى هذا الأسـاس تبيّـن لنا الفـرق بين العلـم والظـنّ.

ثالثـا : وكمـا أشـرنا سـابقـا، فـإنّ أرسطـو لـم يكن يفـرّق بيـن العلـم والبـرهان لأنّ العلـم حسـب رأيـه هـو : "إستعـداد قـادر على أن

[35] جيرار جهامي : م.س. ص. 445

يبـــرهن"، ويقـــول في هذا الصـــدد : "إذا كان هـــذا هو العلـــم الـــحقيقي الـــمطلوب فالّـــذي يفيـــد هذا العلـــم هو اليـــرهان" [36] والبـــرهان عنـــده هو "قيـــاس يقينـــي يفيـــد علم الشّـــيء على ما هـــو عليـــه في الـــوجود بالعلّـــة الّـــتي هو بـــها مـــوجود، إذا كـــانت تلك العلّـــة من الأمـــور الـــمعروفة بالطّبـــع "[37].

لكـــن هذا البـــرهان الّـــذي يقصـــده أرسطـــو هنا، فـــإنّه لا يقـــوم إلاّ بـــوجود معنى كليّ : وإذا لـــم يكن هنـــالك معنـــى كلي لـــم يـــكن هنـــالك حـــدّ أوســـط يـــحمل عليـــه من طـــريق مـــا هو وإذا لـــم يكـــن هنـــالك حـــدّ أوســـط فليـــس هنـــالك بـــرهان [38].

ونتيجـــة لـــذلك قـــال **Granger** : أنّـــه من الـــواضح أن العـــلامة الـــخاصّة الّـــتي تـــجعل العلـــم يتميّـــز عن كـــلّ معرفـــة أخـــرى هو حـــاله "إستـــدلالي" يعنـــي منطقـــي وغيـــر حـــدسي "فهـــو بـــرهان على أســـاس[39].

وأرسطـــو "كعادتـــه في بـــحث مشكلـــة العلـــم والفلسفـــة" يستعـــرض آراء السّابقيـــن عليـــه وينتقـــد مالا يتّفـــق مع آرائـــه من مذاهبهـــم ونـــذكر على سبيـــل الـــمثال هذا النّقـــد الّـــذي وجّهـــه إلى السّفسطـــائيّين في مـــجال العلـــم

---

[36] جيـــرار جهـــامي : ص 451.

[37] ن. م. : ص 373.

[38] ن. م. : ص 401.

[39] أنظـــر كتـــاب « Granger : "La théorie Aréstotélicienne de la science".

والـمعرفة حيـث قـال " ... إنّـما نـرى قد علمنـا الشّيء علمـا حقيقيّـا في الغايـة متى علمنـا الشّـيء لا بـأمر عـارض لـه نـحو ما يعلّمـه السّفسطـائيّون بل متى علّمنـاه بالعلّـة الـموجهّة لوجـوده وعلمنـا أنّـها علّتـه فـإنّه لا يـمكن أن يوجـد دون تلك العلّـة [40].

ولـهذا السّبـب بعينـه، ذهـب أرسطـو إلى أنّ الشّـيء الّـذي يقـف عنـده السّـؤال "بـما"، هـو الّـذي يعطينـا السّبـب الـحقيقيّ للأشيـاء، ويـوضّح هذه الفكـرة بـمثال التّـالي ويقـول "إذا سألنـا مثـلا : لـمّا كان هـذا الـمثلّث زوايـاه الـخارجيّة مساويـة لأربـع قـوائم ؟ فقيـل من قبـل أنّـه متسـاوي السّـاقين، كان الـمعطى في ذلك سببـا نـاقصا إذا كان عـرضيّا، وكذلـك إذا قيـل من قبـل أنّـه شكـل مستقيـم الـخطوط، وهو الشّـيء الّـذي من قبلـه وجـدت زوايـاه الـخارجيّة بـهذه الصّفـة فقـد أعطـى السّبب الـحقيقي التّـام الـمفيد للعلـم التّـام"[41].

فنـلاحظ أنّ أرسطـو هنـا قد إستعمـل ما يسمّـى اليـوم بالطّـريقة الإستنتـاجيّة (Voie déductive)[42] لـوضع نظـريّته للعلـم لأنّ وحسـب رأيـه كلّما كان الـموجود أقـرب إلى الـجزئيّة والتّشخيـص، كلّمـا إزداد إقترابـه إلى

[40] جيـرار جهـامي : ص 373.

[41] ن. م. ص 435.

[42] رنـيه تـاتون : م. س ص 263

الـــواقع والـــوجود الـــحقّ، فالـــمركّب من أجـــزاء أقـــرب إلى الـــواقع من الكلّـــي، والـــجزئيّ الـــمفرد أقـــرب إلى الـــواقع من الـــمركّب من أجـــزاء[43].

وهكـــذا فـــإنّ الواقعيّـــة عند أرسطـــو هي الإقتـــراب عن كثـــب من الـــجزئيّ وهو لا يسلّـــم بـــأنّ الكلّيّـــات الّـــتي يقـــوم عليهـــا البـــرهان أجنـــاس عليـــا لـــها مطلـــق العمـــوم، بل هي أجنـــاس مـــركبة يـــمكن أن تنحـــلّ إلى مـــا هو أبســـط منهـــا[44].

وإذا كان البـــرهان على هذا الشّكـــل يعنـــي كليّـــا وضـــروريّا وكان في حقيقـــة أمـــره "قيـــاس يقينـــي يفيـــد علم الشّـــيء على مـــا هو عليـــه في الـــوجود..."، فبقـــي أن نعـــرّف مـــا هي شـــروط مقدّمـــات هـــذا القيـــاس البـــرهانيّ الّـــذي يـــميّز العلـــم عن سائـــر الـــمعارف الأخـــرى.

يقـــول أرسطـــو : "وإذا كان القيـــاس البـــرهانيّ هو الّـــذي في شأنـــه أن يفيـــد هـــذا العلـــم الّـــذي هو العلـــم الـــحقيقيّ كمـــا قلنـــا فبيّـــن أنّـــه يـــجب أن تكـــون مقدمـــات القيـــاس البـــرهانيّ صادقـــة وأوائـــل وغيـــر معـــروفة بـــحدّ أوســـط وأن تكـــون أعـــرف من النّتيجـــة وإن تكـــون علّـــة للنّتيجـــة بالوجهيـــن

---

[43] بـــدوي عبـــد الـــرّحمان : أرسطـــو، خـــلاصة الفكـــر الأوروبـــي، سلسلـــة التـــابيع عـــدد 8377 ط 2، مكتبـــة النّهضـــة الـــمغربيّة، 1944.

[44] ن. م. : ص 47

جـميعا، أعنـي علّـة لعلمنـا بالنّتيجـة وعلّـة لـوجود ذلك الشّـيء الـمنتج نفسـه ..."[45].

لكـن هـذه الـمبادئ الأسـاسيّة الّـتي تقـوم عليهـا مقدّمـات القيـاس البـرهاني لا يـدركها إلاّ العقـل، ويعنـي أرسطـو بالعقـل هنـا : "القـوّة الّـتي تـدرك بـها الـمقدّمات الأولى الضّـرورية"[46].

ويقـول أيضـا : فـأمّا الـمبادئ فـلا تعلّـم بالبـرهان ولكنّهـا تعلّـم بالعقـل إذ كان ليـس هـاهنا شـيء يـدرك بـه مـاهو أكثـر تـحقيقا من البـرهان إلاّ العقـل، ولذلـك كان العقـل مبـدأ الـمبادئ ..."[47]

ويعـود بـمعنى أوسـع في كتـاب الأخـلاق، ويقـول : "وإن كـانت إستعـدادات الّـتي تـمكّننا من بلـوغ الـحقيقة وتـجنّب كلّ خطـأ في الأشيـاء الّـتي لا يـمكن أن تكـون بـخلاف مـا هي أو في تلـك الّـتي يـمكن أن تكـون بـخلاف مـاهي وإذا كـانت هذه الإستعـدادات هي : "العلـم والفطنـة والـحكمة والعقـل، وإذا كانـت ثـلاثة منهـا لا يـمكن أن تقـوم بـأي دور في

---

[45] جيـرار جـهامي : ص 373.

[46] ن. م. : ص 450.

[47] ن. م. : ص–ص 490 – 491.

إدراك الـــمبادئ (أقصـــد : الفطنـــة والعلـــم والـــحكمة) فبقـــي أنّ العقـــل العيـــاني هـــو الّـــذي يدركـــها[48].

وتأسيســـا على ذلك يتبيّـــن لنـــا أنّ لا علم إذن إلاّ بالعقـــل لأنّـــه لا علم إلاّ بـــمعنى كليّ أيّ لا علـــم إلاّ بالبـــرهان، ولا بـــرهان إلاّ بالـــمقدّمات الكليّـــة الضّـــرورية الّـــتي لا يـــدركها إلاّ العقـــل.

وعلى العمـــوم، فـــإنّ خاصيّـــة العلـــم عند أرسطـــو تتلخّـــص في تـــميّزه بالقـــدرة على تعليـــم الغيـــر، وعلى ضـــرورة وجـــود موضوعـــه، وأنّ هـــدف هـــذا العلـــم هو تـــحديد التّعـــريفات الـــخاصّة بالأنـــواع الـــمبيّنة للمـــاهيّات الكليّـــة. وغـــاية الإستـــدلال الـــوصول إلى نتـــائج يقينيّـــة تـــرتبط ضـــرورة بـــمقدّمات يقينيّـــة.

ب – مفهـــــوم الصّنـــاعة:

إنّ أوّل مـــا يلاحـــظ على مفهـــوم الصّنـــاعة عند أرسطـــو، هـــو أنّـــه لـــم يكـــن يفصـــل معنى الصّنـــاعة عن الفـــنّ أو الإنتـــاج (كمـــا هو الـــحال فيمـــا سبـــق ذكـــره بين العلـــم والـــمعرفة البـــرهانيّة).

[48] أرسطـــوطاليس : "الاخـــلاق"، ص 216.

ويقـول أرسطـو في كتـاب الأخـلاق إلي نيقـوماخـوس : "لـمّا كان فـنّ الـمعمار صنـاعة، وهـو في جوهـره إستعـداد مـا للإنتـاج مصحـوب بقـاعدة، ولـمّا كان لا تـوجد أيّـة صنـاعة ليسـت إستعـدادا للإنتـاج مصحوبـا بقـاعدة ولا يـوجد إستعـداد من هـذا النّـوع ليـس صنـاعة، فـإنّ ثـمّ هويّـة بين الصّنـاعة والإستعـداد للإنتـاج الـمصحوب بقـاعدة دقيقـة[49].

وعلى حـدّ قـول بـدويّ، يقصـد أرسطـو بالصّنـاعة، "الـمهارة في الصّنـاعة وتشمـل أيضـا الـمهارة في الفنـون الـجميلة" (مع أنّنـا لا ننشـد الـدّقة في مثـل هـذا القـول وخـاصّة فيمـا يتعلّـق بفكـرة الـجمال عند أرسطـو والّـتي كانت مـوضع إختـلاف كثيـرة في وجهـات النّظـر).

وفي بـداية كتـاب الـميتافيزيقـا (أي كتـاب مـا بعد الطّبيعـة) يـذهب أرسطـو إلى أنّ : من الـحيوانات من لـه الـمخيّلة ولـه الـذّاكرة وقـدر ضئيـل جـدّا من الـخبرة في حيـن يرتفـع الـجنس الإنسـاني إلى الفـنّ - Art - Technè وإلى العقل Raison Logos فمن الـذّكريات تـحدث الـخبرة، وقـد تشبـه الـخبرة العلـم والفـن إلى حـدّ كبيـر ولا يـحصل الفـنّ عند الإنسـان إلاّ عن طريـق الـخبرة ذلك لأنّـه كمـا يقـول : Polus بولـوس بـحقّ : إنّ الـخبرة قد ولـدت الفـنّ أمـّا عـدم الـخبرة فقد أدّت إلى الـمصادفـة Chance.

[49] أريسطـوطليس م. س. : ص 212.

وينشـــأ الفـــنّ عندمـــا نكـــون حكمـــا كليّـــا من مـــجموع أفكـــار حصلـــت من الـــخبرة، وينطبـــق هذا الـــحكم على كلّ حـــالات فـــرديّة الّـــتي يتضمنـــها.

فمثـــلا الـــحكم بـــأنّ دواءا معيّنـــا قد شفى كاليـــاس callias عندمـــا مـــرض بـــمرض معيّـــن وإن هـــذا الـــدّواء قد شفى سقـــراط Socrate عندمـــا مـــرض بـــهذا الـــمرض أيضـــا وأنّـــه يشفـــي عـــددا من النّـــاس هـــذه كلّهـــا أحكـــام خبـــرة، أمّـــا الـــحكم بـــأنّ هذا الـــدّواء يشفـــي هـــذا الـــمرض على العمـــوم فيـــرجع إلى الفـــنّ[50].

ويـــلاحظ أرسطـــو بعد ذلك أنّـــه لا يـــوجد فـــرق كبيـــر بين الـــخبرة والفـــنّ بالنّسبـــة إلى الـــحياة العمليّـــة، بل يـــحدث أحيانـــا أن يتفـــوّق الفـــنّ على الـــخبرة لسبـــب أن الـــخبرة تتعلّـــق بالـــحالات الفـــرديّة، والفـــنّ يتعلّـــق بالكلّيـــات.

ولـــذلك أيضـــا كان أرسطـــو يعتبـــر أنّ الـــمعرفة أقـــرب إلى الفـــنّ وليس إلى الـــخبرة لأنّ الّـــذين يـــحصلون الفـــنّ هم الّـــذين يوجّهـــون العمـــل فلأنّـــهم يعلمـــون الأسبـــاب والعلـــل للأشيـــاء بينمـــا ذوي الـــخبرة أي الّـــذين ينفّـــذون

[50] أميـــرة حلمـــي مطـــر : ص 234.

العمـــل إنـــّما يعلمـــون أنّ شيئـــا ما هـــو كذلك ولكنّهـــم يـــجهلون السّبـــب أي لـــماذا هو كذلك[51]. فلهـــذا السّبب كان أرسطـــو يعتبـــر الأوّليـــن ـ (يعنـــي الّـــذين يـــحصلون الفـــنّ) أكثـــر علمـــا وحكمـــة من الآخـــرين.

ويستنتـــج Granger في تـــحليله لـــهذه الفقـــرة أنّ العلـــم والفـــنّ في نظـــر أرسطـــو يقتربـــان من النّـــاحية الـــمنطقيّة كما يقتـــربان من النّـــاحية السّيكولـــوجيّة لأنّ أرسطـــو (دائـــما حســـب رأي Granger) كان يستعمـــل أحيانـــا ما بقـــي من لفـــظ Technè) أي الصّنـــاعة، الفـــنّ (عـــوض لفـــظ Epistémè أي العلـــم[52].

وكذلك أيضـــا نلاحـــظ أنّ الفـــنّ والعلـــم قد يقتربـــان فيمـــا يتعلّـــق بتنـــاولهما الكلّيـــات (مع ملاحظـــة أنّ الكليّ الّـــذي يتناولـــه الفـــنّ ليس هـــو الكـــلّ كمـــا هـــو في ذاتـــه يعنـــي الكـــلّ الـــخالص بل هو الكـــلّ الـــجزئيّ)[53].

والســـؤال الّـــذي يطـــرح نفســـه هنـــا هو : من أيّ نـــاحية يتميّـــز العلـــم عـــن الفـــنّ عند أرسطـــو ؟

فيجيـــب Granger ويقـــول : إنّ العلـــم يتميّـــز عن الفـــنّ من النّـــاحية الظـــّواهريّة – فنوملوجيـــا _ sur le plan phénoménologique – ويوضّـــح

---

[51] أميـــرة حلمـــي مطـــر : م. س. : ص 235.

[52] Granger. Ibid : p 22.

[53] وولتـــر ستيـــس : تـــاريخ الفلسفـــة اليـــونـــانيّة، تـــرجمة مجـــاهد عبد الـــمنعم الـــمجـــاهد، 1987، ص – ص : 210 – 211.

قولـــه هـــذا بـــما ذهب إليـــه أرسطـــو إلى أنّ الفـــنّ يتوجّـــه إلى تـــحقيق النّفـــع واللّـــذة والعلـــم لا يـــحقّق النّفـــع ولا لـــذّة الـــحياة[54].

ويقـــول أرسطـــو في كتـــاب الأخـــلاق إلى نـــخوماخـــوس : "إنّ الصّنـــاعة تتعلّـــق دائمـــا بتغييـــر وأنّ مبـــدأ وجـــودها يقـــوم في الفنّـــان، لا الشّـــيء الـــمنتج ذلك لأنّ الصّنـــاعة لا تتعلّـــق بالأشيـــاء الّـــتي تـــوجد أي تتغيّـــر بالضّـــرورة ولا بالـــموجودات الطّبيعيّـــة الّـــتي لـــها في ذاتـــها مبـــدؤها[55].

ونـــحن نعلـــم أنّـــه لكي يكـــون العلـــم يقينيّـــا عند أرسطـــو فينبغـــي لـــه أن يقـــع على موضـــوع ثـــابت أي على السّبـــب الضّـــروري، أمّـــا الـــممكن أو العـــرضي فلا يكـــون موضوعـــا للعلـــم. وذلك كان أرسطـــو يضـــع الأمـــور الصّنـــاعيّة في تلك الّـــتي يـــمكن أن تكـــون بـــخلاف ما هي[56].

والفـــارق بين الـــموجودات كأشيـــاء طبيعيّـــة أو قسريّـــة وبين الـــموجودات كأشيـــاء فنيّـــة أنّ الصّـــورة في الـــحالة الأولى توجـــد باطنـــة في الأشيـــاء والصّـــورة

---

[54] Granger. Ibid : p 22.

[55] أريسطـــوطليس : الأخـــلاق، ص 212.

[56] ن. م. : ص 211.

هنـــا بـــمعنى الطّبيعـــة أمّـــا في حالـــة الأشيـــاء الفنيّـــة فـــإنّ الصّـــورة تـــأتى من خـــارج ... فالفـــنّ إذا إظهـــار لشيء داخلـــي في عـــرض خـــارجي[57].

لكـــن في حقيقـــة الأمـــر، إذا بـــحثنا في فكـــرة الفـــنّ عند أرسطـــو وجدنـــا أنـــّها تـــرجع أوّلا إلى الـــمبدأ الأصلي الّـــذي أقـــام عليـــه نظـــريّته في الـــوجود وهـــو مبـــدأ الـــهيولي والصّـــورة[58]. والفـــنّ بـــدوره يتعـــامل مـــع مـــادّة وصـــورة [2] وهو يـــوهب الـــمادّة صـــورة على نـــحو مـــا تفعل الطّبيعـــة غيـــر أنّ العمليّـــة هنـــا مرجعـــها إلى الإنســـان والصّـــورة هنـــا مصطنعـــة[59].

ويذهـــب أرسطـــو إلى أنّ الطّبيعـــة قد زوّدت الإنســـان باليـــد أقـــوى الأسلحـــة، لأنّـــها خـــالقة الأسلحـــة. فالطّبيعـــة خبيـــرة مدبّـــرة قد أتقنـــت صنعهـــا وتوّجتـــه بالإنســـان أبـــدع أثـــارها، والإنســـان بـــدوره يـــحاول مـــحاكاتـــها فينتـــج الفنـــون ليكمـــل بـــالفنّ مـــا بدأتـــه الطّبيعـــة ومن هنـــا فالفـــنّ في الـــحقيقـــة ليـــس إلاّ مـــحاكاة الطّبيعـــة.

وفكـــرة المـــحاكاة هذه من الأفكـــار الرّئيسيّـــة جدّا في مذهـــب أرسطـــو في الفـــنّ ويعـــرف أرسطـــو المـــحاكاة بأنّـــها "إيـــجاد ما لـــم تستطـــع الطّبيعـــة

---

[57] بـــدوي عبـــد عبد الرّحـــمان : أرسطـــو، ط. 2، 1944، ص 269.

[58] ن. م. : ص 268.

[59] حلـــي أميـــرة مـــاطر : "الفلسفـــة اليـــونانيّة : تـــاريخها ومشـــاكلها، ص 336.

إيـــجاده على النّحـــو الّـــذي يـــمكن أن توجـــده الطّبيعـــة عليـــه، ولو أنّـــها أنتجتـــه[60].

فالـــمشابـــهة هنـــا بين الطّبيعـــة وبيـــن الفـــنّ هي في أنّ كلاً منهمـــا يسعى نـــحو تـــحقيق شيء حـــيّ، ملائـــم وليـــس في أنّ الـــواحد صـــدى، أو تشبيـــه أو نسخـــة أخـــرى من الآخـــر. والـــمحاكاة بـــهذا الـــمعنى لا يعني ما يـــدو لأوّل وهلـــة من أنّ الفـــنّ هو نقـــل من الطّبيعـــة الظّـــاهرة أو مـــحاكاة حرفيّـــة للواقـــع الـــمحسوس فأرسطـــو هنا لا يـــختلف عن أفلاطـــون في رفـــض النّـــزعة الطّبيعيّـــة أو الـــواقعيّة الّـــتي تتّجـــه إلى تصويـــر الـــواقع كمـــا هو و إنّـــما يسيـــر في تيّـــار الـــمثاليّة من حيـــث أنّـــه يطـــالب الفنّـــان على أنّ يـــحقّق الصّـــورة الـــمثاليّة الكاملـــة في عملـــه، ومن هنـــا يـــمكن أن يقـــال أيضـــا أنّ الفـــنّ يتـــمّ عمـــل الطّبيعـــة ويـــحسنه، لأنّـــه يساعـــد على تـــحقيق الصّـــورة الكاملـــة في الـــموجودات ويتـــمّ مـــا فيها من نقـــص مشـــاهد. وينطبـــق هذا الكـــلام على الفنـــون الـــمفيدة كمـــا ينطبـــق أيضـــا على الفنـــون الـــجميلة، فـــالطّبيب يـــحقّق الصّحـــة بفـــنّ الطـــبّ وقد لا تكـــون متـــوفّرة بـــالطّبيعـــة. والفنّـــان بـــماله من قـــدرة على التّصـــور والـــخيال يستطيـــع أن يـــحبّ الـــمادّة الصّـــورة النّمـــوذجيّة الكاملـــة الّـــتي تفـــوق الصّـــورة الـــمحسوسة في الـــواقع، والشّـــاعر ذو الـــخيال

[60] حلي مطـــر أميـــرة : م. س. ص 337.

الـــخلاّق قد يـــختار من الأحـــداث مـــا هو مـــحتمل في الذّهـــن غيـــر مـــمكن الـــحدوث ويفضلـــه على غيـــر الـــمحتمل، أي أنّـــه يـــختار الـــمقنع ولـــو لـــم يكـــن واقعيـــاً[61].

وفي خـــلاصة القـــول : تـــختلف الـــرّوح العـــامّة الّـــتي تســـود فلسفـــة الفـــنّ عند أرسطـــو عنهـــا عند أفـــلاطون حيـــث يقـــول أحـــد الـــمفسّرين لفلسفتـــه إنّنـــا عندمـــا نقـــرأ عن الفـــنّ في مـــحاوريّ الـــمأدّبة – Banquet – أو فايـــدروس – Phedre – نقـــرأ عن الفـــنّ بـــواسطة الفـــنّ وليـــس الحـــال كذلك عند أرسطـــو لأنّنـــا عندمـــا نقـــرأ كتـــاب الشّعـــر أو السّيـــاسة فإنـــّما نقـــرأ عن الفـــنّ بواسطـــة العلـــم [62].

وإذا علمنـــا أنّ العلـــم عند أرسطـــو هـــو إدراك الكليّ، وأنّـــه لا علـــم إلاّ بالكلّيـــات، أدركنـــا أن غايـــة العلـــم هي كشـــف عن الأسبـــاب الضّروريّـــة للظّواهـــر وهي غـــاية نظريّـــة بـــخلاف الفـــنّ الّـــذي يتقيّـــد بالنّتـــائج العمليّـــة، ومعنى هذا كلّـــه أنّ من شـــرط العلـــم أن يتضمّـــن درجـــة كافيـــة من الوحـــدة والتّعميـــم وأن يكـــون بـــحيث يستطيـــع النّـــاس أن يتّفقـــوا في الـــحكم على مسائلـــه، لا بالإستنـــاد إلى أذواقهـــم ومصالـــحهم الفـــرديّـــة بل الإستنـــاد إلى ما

---

[61] جلي مطـــر أميـــرة : م. س. ص 336.

[62] أنظـــر : K. E. Gilbert & H. Kuhn. A, "History of Esthetics. New York, 1939, chapitre 3, p 59-86.

بيـن هذه المـسائل من عـلاقات موضوعيّـة يكشفـون عنهـا بالتّـدريج ويـحققونـها ويثبتـونـها بطـريقة مـحدّدة [63].

أمّـا الفـنّ إذا كـان بالـمعنى العـام جـملة من القـواعد الـمتّبعة لتحصيـل غايـة معيّنـة جـمالا كانت، أو خيـرا، أو منفعـة، فمعنـى ذلك أن الفـنّ مقابـل للعلـم لأنّ العلـم نظـريّ والفـنّ عملـي ومضـاد للطّبيعـة من حيث أنّ أفعالـها لا تصـدر عن روّيـة وفكـرة. والفـرق بين الفـنّ والعلـم أنّ غايـة الفـنّ تـحصيل الـمنفعة على حيـن أنّ العلـم تـحصيل الـحقيقة[64].

[63] صليبا (جميل) : الـمعجم الفلسفـي بالألـفـاظ الـعربيّة والفـرنسيّـة والإنقليزيّـة و اللاّتينيّـة، دار الكـتاب اللّبنـاني، ص 99.

[64] ن. م. : ص 165.

الفصـل الثاني: تقسيـم العلـوم عند أرسطـو :

كـان من عـادة الفـلاسفة في ثنايـا مذهبهـم أن يقسّمـوا العلـوم الّـتي كانت متـوفّرة في عصـرهم ويـرتّبونـها صنفـا صنفـا ليبيّنـوا ما بيـن موضوعاتـها ومنـاهجها من تشابـه ووحـدة.

وكـان لأرسطـو تأثيـر كبيـر على الـمفكّرين في العالـم الإسـلامي في القـرون الـوسطى حيث كـانت أفكـاره الفلسفيّـة تـرخّص أيّ نـوع من الفكـر سـواء كـان علمـيّ أو فلسفـي أو أدبـي وحتّى دينـيّ[65]. فلذلـك إذا أردنـا أن نفهـم التّصـانيف الّـتي قدّمهـا مفكّـروا الحضـارة العربيّـة الإسـلاميّة، فـإنّـه ينبغي أن نـرجع إلى العمـل الّـذي قـام بـه أرسطـو في هـذا الـمجال[66]. فمن التّصنيفـات العلـوم (Classification des sciences) في الفلسفـة القديـمة تصنيـف أرسطـو الّـذي زعـم أنّ عقولنـا تطلـب العلـم والإطـّلاع والإبـداع والإنتفـاع، ولذلك إنقسمـت العلـوم بـحسب هذه الغايـات الثّـالث إلى علـوم

---

[65] أنظـــر Badawi Abdourahmane : " La transmission de la philosophie Grèque au monde musulman".

[66] محمّـد وقيـدي : "الـمبادئ الـمعرفيّة والـخلفيّـات الفلسفيّـة للتصنيفـات الـعربيّـة الإسـلاميّـة للـعلوم" ص 71.

نظـــريّة (كالـــرّياضيّات والطّبيعيـــّات) وعلـــوم شعريّـــة (كالبـــلاغة والشّعـــر) وعلـــوم عمليّـــة(كالأخـــلاق والإقتصـــاد والسّيـــاسة)[67].

لكـــنّ هنـــاك من يـــرى أنّ هـــذا التّقسيـــم الثّـــلاثي لـــم يكـــن التّقسيـــم الحقيقـــي في نظـــر أرسطـــو، و إنـــما التّقسيـــم الحقيقـــيّ في نظـــر أرسطـــو هـــو تقسيـــم العلـــوم إلى نوعيـــن علـــوم نظـــريّة وعلـــوم عمليّـــة، وهـــذا ما ذهـــب إليـــه تسلـــر مثـــلا، بينمـــا هامـــلان يعتقـــد أن التّقسيـــم الثّـــلاثي الّـــذي سبـــق ذكـــره هـــو تقسيـــم حقيقـــيّ وهكـــذا نـــجد أنفسنـــا ملزميـــن بالأخـــذ بأحـــد أمريـــن : فإمّـــا أن نأخـــذ بـــرأي دون آخـــر، أو نقـــوم بالتّوفيـــق بينهمـــا حتّى يصبـــح واحـــدا، و إمّـــا أن نبحـــث من جديـــد في هـــذه الـــمسالة إبتـــداء من نصـــوص أرسطـــو نفسه حتّى يكـــون لنا موقفـــا علميّـــا حـــرّا يـــؤيّد أو يـــخالف هـــذين الـــرّأيين .

والحـــلّ الأوّل بـــلا شكّ هـــو الأيســـر ولكـــن "أيســـر الحلـــول ليســـت دائمـــا أصحّهـــا"، ولـــهذا يـــجب أن ننظـــر في الحـــل الثّـــاني.

لكـــن قبـــل أن نقـــوم بـــهذا العمـــل الـــجديّ، فـــلا بدّ أن نستعـــرض قوليـــن أو رأيـــن حتّى نفهـــم ما يتضمّـــن كلّ واحـــد منهمـــا.

---

[67] صليبـــا جـــميل : م. س. الجـــزء الثّـــاني، ص 100.

أوّلا : يعتـــرض تسلـــر عن هذا التّقسيـــم الثّـــلاثي لأنّ حســـب رأيـــه لـــم يكـــرّس أرسطـــو القســـم الثّـــاني من التّقسيـــم الثّـــلاثي (علـــوم شعـــريّة) إلاّ كتابـــا واحـــدا، مـــمّا يـــدلّ على أنّـــه لـــم يـــجعل الفـــنّ قسمـــا قـــائما بذاتـــه.

ويـــردّ هـــملان عن هـــذا الإعتـــراض ويقـــول : أنّ أرسطـــو لـــم يعـــن بـــهذه النّاحيـــة ، لأنـــّها تشمـــل جـــميع الصّناعـــات ، وهـــو لـــم يشـــأ أن يتّخـــذ لـــها إلاّ نـــموذجا واحـــدا ، وهـــو الشّعـــر فـــإذا كان أرسطـــو لـــم يتـــرك لنـــا في هـــذه النّـــاحية ســـوى كتـــاب واحـــد فان هـــذا لا ينهـــض دليـــلا على التّقسيـــم الثّـــلاثي[68].

وأكثـــر مـــن ذلك يـــرى بعـــض الـــمفكريـــن أنّ كلمـــة " بـــويطيقـــا – Poetica– الـــتّي أطلقهـــا أرسطـــو على الكتـــاب " الشّـــعر" لا تقتصـــر في اللّغـــة اليونـــانيّة على فـــنّ الشّعـــر بل تطلـــق عل كلّ الفنـــون. النّـــافعة والـــجميلة، فهـــي مشتقّـــة من فعـــل –Poein – أي ينتـــج، وما دام شـــأن الشّـــاعر هو شـــأن كلّ فنّـــان منتـــج فـــإنّ كلمـــة بوتطيتيقـــا تشيـــر إلى الفنـــون عمومـــا[69].

ويعتـــرض تسلـــر ثـــانيا على هذا التّقسيـــم ويقـــول : "إنّ الكتـــب الأرسطيّـــة لا تـــمثّل هذا التّقسيـــم تـــماما ، إذ يـــلاحظ أن الـــرّياضيات لـــم تأخـــذ

---

[68] بـــدوي عبـــد الـــرّحـــمان : أرسطـــو، ص 58.

[69] حلمي مطـــر أميـــر : م. س. ص 334.

غيـــر نصيـــب ضئيـــل جـــدّا والـــرّسالـــة الخّـــاصة داخـــل الكتـــب الأرسطيّـــة . كما يلاحـــظ من نـــاحية أخـــرى أنّ أرسطـــو ســـمّى الطّبيعيّـــات بإســـم الفلسفـــة الثّـــانية، وما كان له أن يفعـــل ذلك لـــو أنّ الـــرّياضيّات وجـــدت بين الطّبيعيّـــات وبيـــن الفلسفـــة الأولى أو الإلـــهيّات.

ويـــردّ هـــملان على هذا الإعتـــراض كذلك فيقـــول بالـــردّ على الشّطـــر الأوّل منـــه، وهو خـــاصّ بـــأنّ الـــمؤلّفات الأرسطيّـــة لا تـــمثّل هذا التّقسيـــم تـــمثيلا حقيقيّـــا، إنّ هذا التّقسيـــم تقسيـــم مثـــالي نـــموذجي، فســـواء كـــان تـــحقيقه قد أتى على أســـاس إستيفـــاء البـــرنامج الـــموضوع أو عـــدم إستيفائـــه فليـــس هذا دليـــل على أن التّقسيـــم ذاتـــه لـــم يكن موجـــودا في نظـــر أرسطـــو. امّـــا من نـــاحية الشّطـــر الثّـــاني فـــإنّ هـــملان يقـــول أنّ أرسطـــو قد أضـــاف العـــدد والـــرّياضيات إلى البحـــث في الطّبيعيّـــات أي أنّـــه جعـــل من الطّبيعيّـــات والـــرّياضيات معـــا فلسفـــة ثـــانية[70].

فعلـــى كـــلّ، إنّنـــا نلاحـــظ أوّلا : أنّ أرسطـــو يتحـــدّث مـــرارا عـــدّة عن تقسيـــم العلـــوم إلى قسميـــن : نظـــري وعلمـــي، فالنّظـــري من شـــأن العقـــل، والعلمـــي من شـــأن الإرادة أو الفعـــل، ولكـــن التقسيـــم الآخـــر يقـــوم على أســـاس أن هـــذا القســـم الثّـــاني ينقســـم بـــدوره إلى قسميـــن : العلمـــي من حيث

[70] بـــدوي عبد الـــرّحـــمان : م. س. ص 59.

هو فعـــل بـــاطن، والعملـــيّ من حيث انّـــه خـــارج. فمـــا هو فعـــل بـــاطن هو الفعـــل بالـــمعنى الدّقيـــق للكلمـــة، وما هـــو فعـــل خـــارج هـــو الأشيـــاء الـــمصنوعة.

و إنّنـــا نـــجد بعـــض إشـــارات عابـــرة في الطّوبيقـــا وفي الأخـــلاق إلى نقـــوماخوس " تـــدلّ على أنّ أرسطـــو قســـم الفلسفـــة (أو العلـــوم) إلى ثـــلاثة أقســـام رئيسيّـــة : علـــوم نظـــريّة، وعلوم عمليّـــة، وعلـــوم صناعيّـــة أو فنيّـــة حيث يقـــول أرسطـــو في كتـــاب طوبيقـــا مثـــلا : "إنّ العلـــوم فمنهـــا نظريّـــة، ومنهـــا عمليّـــة، ومنهـــا شعريّـــة". " Les sciences sont les unes théoriques ; d'autres pratiques, d'autres enfin poétiques" (topique 157 au 8-11-vr). ولـــذا فإنّنـــا نـــؤثّر التّقسيـــم الثّـــلاثي على غيـــره.

❖ القســـم الأوّل: وهـــو العلـــوم النّظريّـــة، فيشمـــل عند أرسطـــو ثلاثـــة علـــوم رئيسيّـــة: الطّبيعيّـــات والرّياضيّـــات والإلـــهيّات أو الفلسفـــة الأولى ولذلك أنّـــه إمّـــا يكون موضـــوع العلـــم و هـــو متحـــرّك، أو ما هـــو جســـم في آن واحـــد، و إمّـــا أن يكـــون موضـــوع علم ما هـــو غيـــر متحـــرّك، وما هـــو متحقّـــق في جسمـــاني، و إمّـــا أن يكـــون ثالثـــا، اللاّمتحـــرّك اللاّمـــادي. والأوّل موضـــوع الطّبيعيـــات، لأنّ موضوعهـــا الـــجسم الـــمتحرّك، والثّـــاني موضـــوع الرّياضيّـــات لأنّ موضوعهـــا ما

ليـس بـمتحرّك، ولكنّـه لا يوجـد في الـخارج إلاّ متحقّقـا في أجسـام والثّـالث موضـوع الإلـهيّات لأنّ الإلـهيّات تبحـث في الـماهيّات الثّـابتة الرّوحيّـة غيـر الـمتحقّقة في الـخارج بوجـه مـا من الـوجوه.

❖ القسـم الثّـاني : وهـو العملـي يشمـل أوّلا مـا يكـون موضوعـه فعـل الإنسـان الفـرد، وما يكـون موضوعـه الإنسـان في الـمنزل وما يكـون موضوعـه أخيـرا الإنسـان في الـجماعة. وتبعـا لهذا ستنقسـم هذه العلـوم إلى ثلاثـة أقسـام : الأخـلاق وموضعهـا الفعـل الإنسـاني و بالنّسبـة إلى الفـرد، وتدبيـر الـمنزل وموضوعـه الفعـل الإنسـاني من حيث هـو في أسـرة، والسّيـاسة موضوعهـا الفعـل الإنسـاني داخـل الـجماعة.

❖ القسـم الثّـالث : الـمضاف إلى ذلك فيشمـل كلّ العلـوم العمليّـة. وأرسطـو لـم يـخصّص له غيـر كتـاب الشّعـر كمـا مـرّ بنـا فيمـا تقـدّم [71].

[71] بـدوي عبد الـرّحـمان : م. س. ص 57.

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تطور مفهوم العلم عند الفارابي من خلال كتابه إحصاء العلوم
المؤلف الرئيسي:	ربيعو، بشير محسن
مؤلفين آخرين:	عزوز، رضا(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2002
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 101
رقم MD:	927005
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	العلم، كتاب: إحصاء العلوم، الفارابى، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، ت. 339 هـ.، العلوم عند العرب، التراث العربي، التراجم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/927005

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البـــاب الثّـــــاني

الفصـل الأول : تقسيـم العلـوم عند الفـارابي ودلالاتـه :

إنّ الفـارابي يعد بـلا شكّ أوّل مفكـر إسـلامي إعتنـى بـدراسة تصنيـف العلـوم، إذ أفـرد لها كتـاب "إحصـاء العلـوم" والّـذي يعتبـر بـدوره أوّل تصنيـف حقيقـي في علـم التّـاريخ الإسـلامي[72].

وقد أوضـح الفـارابي عن غرضـه من تأليـف كتـاب "إحصـاء العلـوم" بقولـه : قصدنـا في هذا الكتـاب أن نـحصّى العلـوم الـمشهورة علمـا علما، ونعـرف جـمل مـا يشتمـل عليـه كـلّ واحد منهـا، و أجـزاء كـلّ مـا لـه منهـا أجـزاء، وجـمل ما في ذلـك واحـد من أجزائـه[73].

ولكـن هـذا لا يـمنع أن نلاحـظ (كمـا قالـه بعض الدّارسيـن) : أنّ كتـاب "إحصـاء العلـوم" : هذا قد جـاء وفقـا لتـرتيب عقلي معيّـن لـم

---

[72] أحـمد رمضـان أحـمد : "تطـوّر علـم التّـاريخ الإسـلامي حتّى نهـاية القـرن الـعشرين الـهجري. الـدّارة (مـجلّة فصليّـة محكمـة) تصـدر عن دائـرة الـملك عبـد الـعزيز (بالرّيـاض عدد 2، أوت 1987.

[73] عـثمان مـحمّد أمـين : "إحصـاء العـلوم"، ص 43.

يصـــرّح به الفـــارابي هنـــا، وإن كـــان قد أوضحـــه في أكثـــر من مـــوضع من مـــؤلّفاتـــه الأخـــرى. فكـــان مـــا راعـــاه الفـــارابي من التّـــرتيب في كتـــاب "الإحصـــاء" جـــاء على سبيـــل التّطبيـــق العلمـــي لنظـــريّته العـــامّة في تقسيـــم العلـــوم[74].

و أمـــّا نظريـــّة الفـــارابي في تقسيـــم العلـــوم قد أجـــملها في كتـــابه " التنبيـــه على سبيـــل السّعـــادة " إذ قسّـــم العلـــوم إلى قسميـــن كبيـــرين :

الأوّل : صنـــف بـــه تـــحصل معرفـــة الـــموجـــودات الّـــتي ليـــس للإنســـان فعلهـــا وهـــذه تسمّـــى النّظـــريّة.

والثّـــاني : يـــحصل بـــه معرفـــة الأشيـــاء الّـــتي شأنـــها أن تفعـــل، والقـــوّة على فعـــل الجميـــل منهـــا، وهـــذه تسمّـــى فلسفـــة عمليّـــة والفلسفـــة الـــمدنية[75].

و أمّـــا العلـــوم النّظـــريّة فتشتمـــل على ثـــلاثة أصنـــاف :

1- علـــم التعاليـــم.

2- علـــم الطّبيعـــي.

3- وعلـــم مـــا بعد الطّبيعيّـــات.

---

[74] عـــثمان مـــحمّد أميـــن : م. س. ص 13.

[75] الفـــارابي : التنبيـــه على سبيـــل السّعـــادة حقّقـــه وقـــدّم لـــه وعلّـــق عليـــه الـــدّكتور جعفـــر آلي يـــاسين، دار الـــمناهل، ط 1 1987، ص 76.

وكـــلّ واحـــد من هـــذه العلـــوم الثّـــلاثة يشتمـــل على صنـــف من الـــموجـــودات الّـــتي شأنـــها أن تعلّـــم فقـــط.

أمّـــا العلـــوم العمليّـــة والفلسفـــة الـــمدنية فـــهي صنفـــان :

- صنـــف يـــحصل بـــه علـــم الأفعـــال الـــجميلة والأخـــلاق الّـــتي تصـــدر عنهـــا الأفعـــال الـــجميلة، والقـــدرة على أسبابـــها (وبـــه تصيـــر) الأشيـــاء الـــجميلة فنيـــة لنـــا وهـــذه تسمّى الصّناعـــة الـــخلقيّة.

- والثّـــاني يشتمـــل على معرفـــة الأمـــور الّـــتي بـــها تـــحصل الأشيـــاء الـــجميلة لأهـــل الـــمدن، والقـــدرة على تـــحصيلها لـــهم وحفظهـــا عليهـــم وهـــذه تسمّى الفلسفـــة السّيـــاسيّة[76].

أ – هيكـــل التّقسيـــم الثّنـــائي للعلـــوم وفـــروعها عند الفـــارابي :

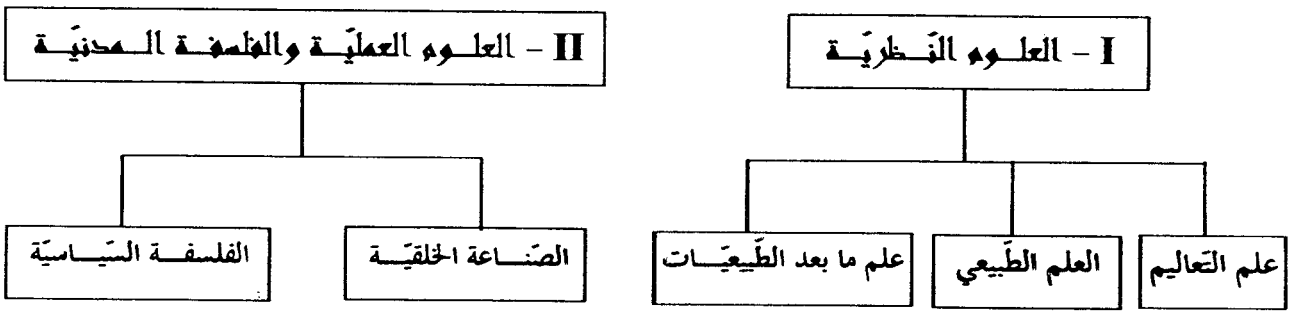

[76] الفـــارابي م. س. : ص 77.

إنّ الفـارابي يصـف لنـا الـمنهج الّـذي سـار عليـه في مؤلّفـه هذا فيقـول ونـجعله في خـمسة فصـول :

الأوّل : في علم اللّسـان و أجزائـه.

الثّـاني : في علـم الـمنطق و أجزائـه.

الثّـالث : في علـوم التّعـاليم، وهي العـدد والـهندسة وعلـم الـمناظر وعلـم النّجـوم التّعليمـي وعلـم الـموسيقى وعلـم الأثقـال وعلـم الحيـل.

الـرّابع : في العلـم الطّبيعـيّ و أجزائـه وفي العلـم الإلـهي وأجزائـه.

الخـامس : في العلـم الـمدني و أجزائـه وفي علـم الفقـه وعلـم الكـلام[77].

و إذا تأمّلنـا هـذا التّقسيـم نفسـه وجدنـاه في صميمـه تطبيقـا لنظـريّة الفـارابي الّـتي ذكرهـا في "التّنبيـه على سبيـل السّعـادة" فقـد قـدّم علـم اللّسـان وفـروعه وأعقبـه بعلـم الـمنطق وتفسيـر ذلك ظـاهر من كـلامه. لأنّ علـم اللّسـان عند كـلّ أمّـة أداة لتصحيـح ألفاظهـا وتقويـم عباراتـها، فـوجب تقديـمه على سائـر العلـوم ثـمّ إنّ علـم اللّسـان مـمّا لا يستغنـى عنـه في دراسـة "أوائـل صنـاعة الـمنطق كمـا قـال الفـارابي في بعـض كتبـه،

[77] الفـارابي : إحصـاء الـعلوم، ص 43.

ولأنّ "موضوعـــات الـــمنطق هي الـــمعقولات من تدلّ عليهـــا الألفـــاظ من حيـــث هي دالّـــة على الـــمعقولات كما قـــال في كتـــاب الإحصـــاء[78] وبعـــد أن فـــرغ من علـــم اللّســـان عـــرض الفـــارابي مبـــاشرة لعلـــم الـــمنطق وقد قدمـــه على سائـــر العلـــوم لأنّـــه يعطـــي جـــملة القـــوانين الّـــتي شانـــها أن تقـــوّم العقـــل وتســـدّد الإنســـان نـــحو طريـــق الصّـــواب ونـــحو الحـــقّ[79] ... وبعبـــارة أخـــرى لأنّ قوانيـــن الـــمنطق قوانيـــن عامّـــة كليّـــة لا بـــدّ من مراعاتـــها في أيّ علـــم لعصمـــة الأذهـــان من الـــزّلل في الأحـــكام.

وإذن فتقـــدّم الـــمنطق على العلـــوم الأخـــرى هو تقـــدّم بالـــذّات أو بـــالحيثيّـــة : لأنّ الـــمنطق في نظـــره رئيـــس العلـــوم وحكمـــه نـــافذ فيهـــا[80].

وبعد ذلك قسّـــم الفـــارابي العلـــوم إلى قسميـــن كبيـــرين :

أ – علـــوم نظـــريةّ وهي الّـــتي تكلّـــم عليهـــا في الفصليـــن الثّـــالث والـــرّابع وجعلهـــا مشتملـــة على العلـــوم الرّيـــاضية بأنواعهـــا و أجـــزائهـــا.

---

[78] الفـارابي : "إحصـاء العـاوم، ص 43.

[79] ن. م. : ص 68.

[80] ن. م. : ص 77.

ب – وعلـوم عمليّـة وقد تكلّـم عليهـا في الفصـل الـخامس، وذكر منهـا العلـم الـمدني (أي الأخـلاق والسّيـاسة) وأضـاف إليـه علـم الفقـه وعلـم الكـلام.

إذا يـمكن وضع هيكـل تنظيمـي لـهذا التّصنيـف على الصّـورة التّـالية :

جـدول رقـم (2) :

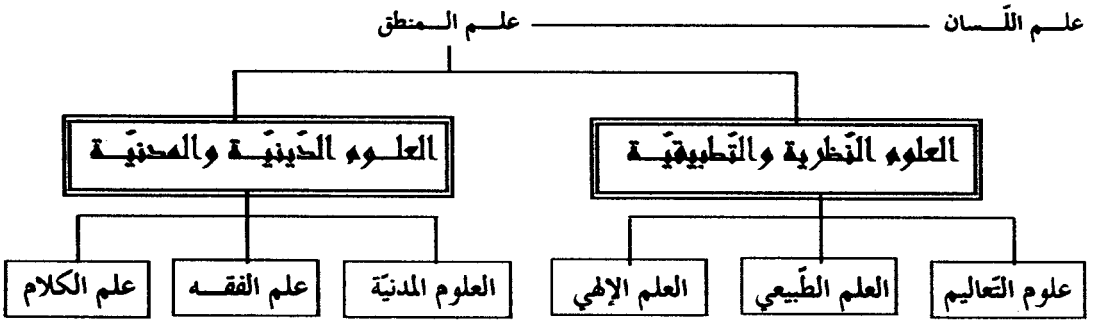

يـلاحظ من الـهيكل التّنظيمـي السّـابق مـا يلي :

أوّلا : أنّ هـذا الـجدول يـمثّل مـجمل التّقسيـم الّـذي قـدمه الفـارابي في مـؤلّفاتـه الـهامّة (وخاصّـة في تلك الّـتي سبـق ذكـرها) حيث نـجد أنّ الفـارابي قد ميّـز بين علميـن هـما : العلـم النّظـري والعلـم العملـي كمـا ورد ذكرهـما في كتـابين : "التّنبيـه على سبيـل السّعـادة" و "إحصـاء العلـوم"

إضافـــة إلى علـــم اللّســـان وعلـــم الـــمنطق الّـــذي جـــاء ذكـــرهـــما متسلســـلا في الفصـــل الأوّل والفصـــل الثّـــاني من كتـــاب إحصـــاء العلـــوم".

ثـــانيا : ومـــمّا يـــجدر ملاحظتـــه أيضـــا أنّ الفـــارابي في الفصـــل الأخيـــر من كتابـــه إحصـــاء العلـــوم قد إستطـــاع إدخـــال العلـــوم الإســـلاميّة (علم الفقـــه وعلم الكـــلام) ضمن تقسيمـــه رغم أنّـــهما يعتبـــران صناعتيـــن زائدتيـــن على الفلسفـــة ومتأخّرتيـــن بالزّمـــان عنهـــا وذلك معتمـــدا على الأدلّـــة العلميّـــة والعقليّـــة ; لكنّ هذه الـــمحاولة "التّوفيـــق بين الدّيـــن والفلسفـــة" قد أنتجـــت بعـــض الـــملاحظات النّقـــديّة الّـــتي سنتحـــدث عنهـــا في وقت لاحـــق.

الفصـل الثّـاني : مقـارنة بين التّقسيمين (أرسطـو والفـارابي) :

إنّ غرضنـا هنـا ليس إبـراز أفضليّـة أحد التّقسيمـن حتّى نقـول بأنّ تقسيـم أرسطـو مثلا كان أفضـل من تقسيـم الفـارابي أو العكـس، لأنّ حسب رأينـا لا داعـي إلى ذلك بـما أنّ الشّخصيـن (أرسطـو والفـارابي) قد عاشـا في عالـمين وعصريـن مختلفيـن، بل الغـرض هـو معرفـة وجـه التّشـابه والإختـلاف بيـن تقسيـم أرسطـو للعلـوم وتقسيـم الفـارابي حتّى تكـون الـمقارنة واضحـة ودقيقـة.

جـــدول رقـــم 3 : مقـــارنة بيـــن تقسيـــم أرسطو وتقسيـــم الفـــارابي :

أقســـام العلـــوم	تقسيـــم أرسطـــو	تقسيـــم القـــارابي
علـــوم نظـــريّـــة	أ – الطّبيعيّـــات. ب – الـــرّيـــاضيات. ج – الإلـــهيّات.	أ – علـــم التّعـــاليم. ب – علـــم طبيعـــيّ. ج – علـــم مـــا بعـــد الطّبيعيّـــات.
علـــوم عمليّـــة	أ – الأخـــلاق ب – تدبيـــر الـــمنزل ج – السّيـــاســـة	أ – الصّنـــاعة الـــخلقيّة – ج – الفلسفـــة السّيـــاسيّة
علـــوم شعـــريّـــة	أ – الشّعـــر ب – الخطـــابـــة ج – الـــجدل	– – –

إذا نستطيـــع من خـــلال الـــجدول السّـــابق، ومن خـــلال ما كتبـــه بعـــض النـــقّاد حـــول تقسيـــم أرسطـــو وتقسيـــم الفـــارابي للعلـــوم أن نـــوضّح أوجـــه التّشـــابـــه والإختـــلاف بين التّقسيميـــن :

1- أوجـه التّشـابـه :

- من حيـث الأسـاس الّـذي بنى عليـه كـلّ تقسيـم نلاحـظ أنّ كـلا من التقسيمـين بنى على أسـاس فلسفـي لأنّ الفـارابي فيلسـوف متـأثّر بفلسفـة أرسطـو[81]. وتبعـا لذلك سيكـون تقسيمـه للعلـوم خاضعـا لتقسيـم أرسطـو.

- لقـد قسـم الفـارابي العلـوم إلى قسميـن :

أ – علـوم نظريّـة تشمـل على العلـوم الرّيـاضيّة بأنواعهـا والعلـم الطّبيعـيّ والعلـم الإلـهي.

ب – وعلـوم عمليّـة وذكـر منهـا العلـم الـمدني ثـمّ علـم الفقـه وعلـم الكـلام.

وهذا التّقسيـم يوافـق تقسيمـه للفلسفـة في كتابـه التّنبيـه على سبيـل السّعـادة إلى فلسفـة نظـريّـة وفلسفـة عمليّـة، وقيـل أنّ هذه الفكـرة "هي فكـرة مـأخوذة عن أرسطـو في الأسـاس" [82].

---

[81] يـونس أحـمد الخـروف : "تصنيـف الفـارابي وابـن خـلدون للـمعرفة البشـريّـة : دراسـة مقـارنة" ، عـالم الكتـب، مجلّـد 16، عدد 4، يـوليو – أغـسطس 1995، ص 341.

[82] ن. م. : ص 341.

- وكذلك الشّـــيء الـــمثير للإهتمـــام هو أنّ الفـــارابي قد فصـــل الـــمنطق عن الفلسفـــة، وجعلـــه علمـــا مستقـــلاّ.

2 – أوجـــه الإختـــلاف :

- من حيـــث التّقسيـــم :

نـــلاحظ أنّ أرسطـــو قد ميّـــز بيـــن ثـــلاثة من العلـــوم هي :

- العلـــوم النّظـــريّـــة.
- والعلـــوم العمليّـــة.
- والعلـــوم الشّعـــريّة .

فأمـــّا الفـــارابي فقـــد قســـم العلـــوم إلى قسميـــن رئيسيّيـــن كما سبـــق ذكـــره دون أن يذكـــر القســـم الثّـــالث الّـــذي يشمـــل العلـــوم الشّعـــريّـــة عند أرسطـــو.

ولعـــلّ الفـــارابي لم يكـــن يهتـــمّ بـــهذا القســـم لتـــأثّره بـــما قـــام به بعـــض الـــمفسّرين الـــمشائين في القـــرن الـــخامس ميـــلادي مثـــل الإسكنـــدر الأفـــروديســـي وأمـــونيـــوس ... إذ أنّ هـــؤلاء قد وضعـــوا الـــخطابة والشّعـــر في تصنيفهـــم للارجانـــون فتلقـــى العـــرب هذا التّقليـــد وتبعـــوا هـــؤلاء الـــمشائين في

دراستهـــم للارجانـــون ومن ثـــمّة فـــإنّ الفـــارابي قد وجـــد الطّريقـــة لإقحـــام الخـــطابة والشّعـــر في الـــمنطق.

- من حيـــث ذكـــر الـــموضوعـــات وترتيبهـــا :

أ – نـــلاحظ أوّلا أنّ أرسطـــو قد ذكـــر ضمن العلـــوم العلميّـــة موضوعـــا هـــامّـــا لم يصـــرّح به الفـــارابي في تقسيمـــه وهو تدبيـــر الـــمنزل أو مـــا يسمّـــى اليـــوم بعلـــم الإقتصـــاد.

ب – ومن حيـــث التّـــرتيب أيضـــا نـــلاحظ أنّ أرسطـــو في ذكـــره للجزئيّـــات قد اسبق الطّبيعيّـــات على الرّيـــاضيّات (أي علـــم التّعاليـــم)، بينمـــا الفـــارابي بالعكـــس فـــإنّه قـــدّم العلـــم التّعـــاليم (أي الرّيـــاضيات)، على الطّبيعيّـــات.

- ويبقـــى أن نشيـــر إلى الإختـــلاف الأخيـــر بين تقسيـــم أرسطـــو وتقسيـــم الفـــارابي، وهـــو يرجـــع إلى أفـــراد قســـم خـــاصّ بالعلـــوم النّقليّـــة، أي الشّعـــريّة الـــمتعلّقـــة بالدّيـــن واللّغـــة العـــربيّة وآدابـــها، وهي لغـــة القـــرآن [83] فقـــد الحـــقّ الفـــارابي هذه العلـــوم الإســـلاميّة بفرعيهـــا علم الفقـــه وعلـــم الكـــلام على العلـــوم العمليّـــة. وقد لقـــي هذا الإلـــحاق

[83] أبو ريّـــان محمّـــد علي : "تصنيـــف الـــعلوم بين الفـــارابي و إبن خـــلدون ص 99.

إنتقـــادات شديـــدة حيث أشـــار لويـــس جـــاردية Louis Gardet مثـــلا إلى أنّ مـــحاولة الفـــارابي في إدخـــال علـــم الكـــلام وعلـــم الفقـــه في دائـــرة العلـــوم العمليّـــة جعلـــت من تصنيفـــه عمـــلا مصطنعـــا[84].

إذا في الخـــلاصة يـــمكن القـــول بأنّ الفـــارابي قـــد تـــأثّر في تقسيمـــه للعلـــوم بـــآراء أرسطـــو و طريقتـــه لـــحصر الـــمعارف الإنســـانيّة، ولكنّـــه في نفس الوقت لم يبتعـــد في هـــذا التّقسيـــم عن الـــمنهج الّـــذي رســـمه لحياتـــه العلميّـــة ألاّ وهـــو التّوفيـــق بقدر الـــمستطاع بالـــجمع بين التّفكيـــر الإغريـــقي والتّفكيـــر الإســـلامي، ولذلك نـــراه يدخـــل العلـــوم الإســـلامية ضمن تقسيمـــه للإنتـــاج الفكـــري، بوضعهـــا جـــزءا منـــه وضمن له مركـــزا علميّـــا مرموقـــا بين الـــمؤلفات العلميّـــة[85] وفي ذلك نـــجد لـــويس جـــارديه مـــرّة أخـــرى، حيث يذكـــر أن وضـــع هـــذين العلميـــن في دائـــرة العلـــوم العمليّـــة إلى جـــوار الأخـــلاق والسّيـــاسة وتدبيـــر المنـــزل، إنّـــما يعتبـــر ثـــمرة حقيقيّـــة لعمليّـــة التّوفيـــق بين الفلسفيّـــة والدّيـــن، الّـــتي إتّسمـــت بـــها فلسفـــة الفـــارابي التّلفيقيّـــة [86].

---

[84] لويس جارديـــه و قـــانواتـــي : Louis Gardet : فلسفـــة الفكـــر الـــدّيني بـــين الإســـلام والـــمسيحيّـــة، بيـــروت 1967، ص 192.

[85] عثمـــان مـــحمّد أميـــن : م. س. ص 17.

[86] انظر: لويـــس جـــارديـــه Louis Gardet : التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفـــارابي، في مجلـــة الفـــارابي والحضارة الإسلامية مهرجان الفارابي، بغداد 1975 ص 129.

البـــاب الثّـــــالث

الفصـل الأوّل : تطـوّر مفهـوم العلـم عند الفـارابي :

إنّ الحـاجة إلى الـجرد و الـحصر فتحـت الـمجال أمـام تصنيـف العلـوم تصنيفـا يـدلّ بـمفرده، على تطـوّر مفهـوم خـاص للعلـم.

ولتصنيفـات العلـوم أهمّيـة خاصّـة بالنّسبـة لتـاريخ العلـوم وذلك لأنّ التصنيفـات تطلـع مـؤرّخ العلـوم على أحـوال العلـم في فتـرة تاريـخيّة بعينهـا على مستويـاتـه الـمتعدّدة.

فقد يقـف تصنيـف العلـوم مثـلا عند حـدود الرّغبـة في إحصـاء الـمعارف الـموجود في عصـر مـا، سـواء من حيث تـمايزها بإختصـاص كـلّ منهـا بـموضـوع، أو من حيـث ترابطهـا، وقد يهـدف من جهـة ثـانية إلى تـرتيب تلك الـمعارف والنّظـر في عـلاقات التّـأثير والتّبعيّـة بينهـا وفقـا لـمبادئ معيّنـة.

وقد يهـدف التّصنيـف ثالثـا إلى تثـوير النّسـق الـمعرفي القـائم بإعـادة النّظـر في تـرتيب العلـوم أو بإضافـة علـوم جديـدة إليـه [87].

ومن الـمعروف أنّ هنـاك إرث مشتـرك لكـلّ تصانيـف العلـوم الّـتي قدّمهـا مـفكّروا الحضـارة العـربيّة الإسـلامية، يتمثّـل في تصنيـف أرسطـو للمعـارف، ولذلك فإنّـه ينبغـي لفهـم هذه التّصـانيف الـرّجوع إلى العمـل الّـذي قـام به أرسطـو.

إذا سنحـاول أن نقـدّم لتصنيـف الفـارابي بإلقـاء نظـرة موجـزة على تصنيـف أرسطـو.

ثـمّ إنّ إطـلاعنا على تصنيـف الفـارابي سيسـاعدنا على أن نتعـرّف على تطـوّر مفهومـه للعلـم وذلك من خـلال نسـق الـمعارف القائمـة في عصـره سـواء كـان ذلك على الصّعيـد الإبستمـولوجـي أو على الصّعيـد الإيديـولوجي [88].

يقسّـم أرسطـو الـمعارف إلى ثـلاثة أقسـام :

---

[87] مـحمّد وقدي : م. س. ص 90.

[88] ن. م : ص 74.

- القســـم الأوّل : ويتعلّـــق بالفلسفـــة النّظريّـــة والتـــأمليّة. والعلـــوم النّظريّـــة الّـــتي يشملهـــا هي : الرّيـــاضيات والفيزيـــاء والـــميتافيزيقـــا.

- القســـم الثّـــاني : ويتعلّـــق بالـــمعارف الفلسفيّـــة العمليّـــة ويشمـــل الأخـــلاق والسّيـــاسة والإقتصـــاد.

- القســـم الثّـــالث : هـــذا القســـم يشمـــل العلـــوم الـــمتعلّقة بالإبـــداع وهي الشّعـــر والخطابـــة وكـــلّ الفنـــون الأخـــرى.

وبطبيعـــة الأمـــر، فإنّـــه لـــم يكـــن من الـــممكن أن يقبـــل الفـــلاسفة العـــرب والـــمسلمون هذا التّصنيـــف دون إدخـــال أي تـــحوير عليه، وهـــذا لأنّ هنـــاك علومـــا جديـــدة تكتســـب مشـــروعيّتها عمليّـــا من إرتباطهـــا بأهـــداف الدّيـــن الجديـــد وهو الإســـلام.

فلنـــرجع الآن إلى العمـــل الّـــذي قـــام بـــه الفـــارابي في هذا الـــمجال في كتابـــه "إحصـــاء العلـــوم" :

كمـــا رأينـــا سابقـــا، يقسّـــم الفـــارابي كتابـــه إلى خـــمسة فصـــول [89]، يـــخصّـــص كـــلاّ منهـــا للتّـــعريف بنمـــط من أنـــماط العلـــوم. ولكنّنـــا يـــمكن

[89] راجع كتاب "إحصاء العلوم"

من خـلال النّظـر في تـرتيب العلـوم لديـه أن نقـول بأنّـه رتّبهـا تبعـا لكونـها علومـا نظريّـة أو عمليّـة.

وحيـث أنّ العلـوم النّظـريّـة تكـون هي الأسـاس فإنّـها تـأتي في بـداية التّـرتيب، بينمـا تـأتى مرتبـة بعدهـا العلـوم العمليّـة. يـخصّص الفـارابي الفصـل الأوّل من كتابـه لعلـم اللّسـان ويقسّـم علم اللّسـان إلى جزئيـن رئيسيّـن : أحدهـما "حفـظ الألفـاظ الدّالـة عند أمّـة مـا، وعلم مـا يدلّ عليـه شـيء منها" [90]، وأمّـا الثّـاني فهو علم قـوانين تلك الألفـاظ.

فعلـم اللّسـان تبعـا للفـارابي يشمـل مبحثيـن همـا مبحـث الدّلالـة أي علـم ما تـدلّ عليـه الألفـاظ، ثـمّ مبحـث القـوانين الّـتي تـخضع لـها تلك الألفـاظ من حيث هي مفـردة أو مركّبة، أي علـم الّـذي يـدرس البنيـات الّـتي تنتقـل بـها الألفـاظ إلى أن تكـون لسانـا معيّنـا بعينـه [91].

يـخصّص الفـارابي الفصـل الثّـاني من كتابـه لعلـم الـمنطق يعـرف الفـارابي الـمنطق بـموضوعه وهدفـه فيقـول بـهذا الصّـدد : "فصنـاعة الـمنطق تعطـي جـملة القـوانين الّـتي شأنـها أن تقـوم العقـل، وتسـدّد

[90] أبـونصـر الفـارابي : م. س. ص 3.

[91] مـحمّد وقيـدي : م. س. ص 75.

الإنســـان نـــحو طريـــق الصّـــواب، ... والقـــوانين الّـــتي يـــمتحن بـــها في الـــمعقولات ما ليـــس يـــؤمن أن يكـــون قد غلـــط فيه غـــالط" [92].

وهكـــذا يكـــون موضـــوع الـــمنطق هو قـــوانين الفكـــر، ويكـــون هدفـــه نظريّـــا هو إكتشـــاف تلك القـــوانين وعمليّـــا هو دفـــع أسبـــاب الخطـــأ والزّلـــل عن العقـــل في الـــمعقولات الّـــتي يـــمكن أن يكـــون فيهـــا خطـــأ وهـــذا لأنّ هنـــالك من الـــمعقولات مالا يـــمكن أن يقـــع فيـــه الخطـــأ لأنّ العقـــل قد فطـــر عليـــه مثـــل قولنـــا بأنّ الكـــلّ أكبـــر من الـــجزء [93].

يـــخصّص الفـــارابي الفصـــل الثّالـــث من كتـــابه لعلـــم التّعـــاليم، وهو العلـــم الّـــذي يشمـــل العلـــوم الرّيـــاضيّة، ويقسّـــم الفارابي هـــذا العلـــم إلى سبعـــة أقســـام.

1 – هنـــاك أوّلا علـــم العـــدد وهو فرعـــان علـــم العـــدد العملـــي، وعلـــم العـــدد النّظـــري. "فـــالعملي يفحـــص الإعـــداد من حيث هي إعـــداد معـــدودات تحتـــاج إلى أن يضبـــط عددهـــا من أجســـام وغيـــرها، مثـــل الرّجـــال أو أفـــراس أو دنانيـــر أو دراهـــم أو غيـــر ذلك من الأشيـــاء ذوات العـــدد، وهي الّـــتي يتعاطاهـــا الجمهـــور في الـــمعاملات السّوقيّـــة والـــمعاملات الـــمدنيّة.

---

[92] أبـــو نصـــر الفـــارابي :م. س. ص 11.

[93] مـــحمّد وقيـــدي : م. س. ص 10.

"وأمّـا النّظـريّ فإنـّه يفحـص عـن الإعـداد بإطـلاق على أنّـها أعـداد مـجرّدة في الذّهـن من الأجسـام... وهـذا هـو الّـذي يدخـل في جـملة العلـوم" [94].

2 – العلـم الّـذي يلي في التّـرتيب هو علـم الـهندسة ولـه بـدوره جـانب عملـي وهو الّـذي ينظـر في الـخطوط والسّطـوح مرتبطـة بالأجسـام الـماديّة، فصـاحب الـهندسة العمليّـة "إنـّما يصـوّر في نفسـه خطوطـا وسطوحـا وتربيعـا وتدويـرا وتثليثـا في جسمـه والـمادّة الّـتي هي الـموضوعة لتلك الصّنـاعة العمليّـة" [95]. أمّـا القسـم النّظـري من علـم الـهندسة فهـو الّـذي ينظـر في الخطـوط والسّطـوح مـجرّدة عن الأجسـام فصـاحب هذا العلـم "يصـوّر في نفسـه الخطـوط بالوجـه العـام الّـذي لا يبـالي في أيّ جسـم كان، ويتصـوّر في نفسـه السّطـوح والتّـربيع والتّـدوير والتّثليـث بالوجـه الأعـمّ الّـذي لا يبـالي في أيّ جسـم كان ... ولكـن المـجسّم العـام لـهذه" [96] ونـلاحظ أنّ بالنّسبـة لعلمي العـدد والـهندسة فإنّ جزاهـما النّظـري هو الأهّـم، لأنّـه هو الّـذي ينفـذ إلى كلّ العلـوم الأخـرى.

---

[94] أبـو نصـر الفـارابي : م. س. ص 35.

[95] ن. م. ص 37.

[96] ن. م. ص 37.

3 – العلـم الرّيـاضي الثّـالث هو علـم الـمناظر، ويبحـث هذا العلـم عمّـا يبحـث عنه العلـم الـهندسة من الأشكـال إلاّ أنّـه ينظـر إليهـا من حيث هي خطـوط ومـجسّمات، لا على الإطـلاق.

وهكـذا يبحـث هذا العلـم في الأجسـام الـمنظورة فيميّـز "بيـن ما يظهـر في البصـر بـخلاف ما هـو عليـه في الحقيقـة، وبيـن ما يظهـر على ما هـو بالحقيقـة، ويعطـي أسبـاب هذه كلّهـا ولـما هي كذلك، ببـراهين يقينيّـة، ويعـرّف في كلّ ما يـمكن أن يغلـط فيه البصـر وجـوه الحيـل في أن لا يغلـط، بـل أن يصـادق الحقيقـة فيما ينظـر إليـه من الشّـيء ومقـداره وشكلـه ووضعـه وترتيبـه وسائـر ما يـمكن أن يغلـط فيـه البصـر وجـوه الحيـل في أن لا يغلـط، بـل أن يصـادق الحقيقـة فيمـا ينظـر إليـه من الشّـيء ومقـداره وشكلـه ووضعـه وترتيبـه وسائـر ما يـمكن أن يغلـط فيـه البصـر" [97].

وهـذا العلـم، من حيث هو كذلك، أقـلّ عمـوميّة من علـم الـهندسة ولذلك فإنّـه يليـه في تـرتيب العلـوم الرّيـاضيّة عنـد الفـارابي [98].

[97] أبـو نصـر الفـارابي : م. س. ص 41.

[98] مـحمّد وقـدي : م. س. ص 76

4 – الجـزء الرّابـع من علـم التّعاليـم هو علـم النّجـوم. ويكـون مـا ندعـوه اليـوم بعلـم الفلـك جـزءا من هـذا العلـم الّـذي يضـمّ جـزءا ثـانيا، هو علـم التّنجيـم. ينقسـم علـم النّجـوم إلى قسميـن :

– أحـدهما هو علـم أحكـام النّجـوم وهو العلـم الّـذي ينظـر في دلالات الكـواكب على ما سيحـدث في الـمستقبل، وعلـى كثيـر مـمّا هو الآن موجـود، وعلى كثيـر مـمّا تقـدّم.

– وأمّـا القسـم الثّـاني الّـذي يدعـوه الفـارابي بعلـم النّجـوم التّعليمـي فإنّـه يفحـص في الأجسـام السّماويّـة من وجهيـن :

الـوجـه الأوّل : وينظـر في أشكـال، ومقاديـر أجـرامها، ونسب بعضهـا إلى بعـض، ومقاديـر أبعـاد بعضهـا عن بعـض.

الـوجـه الثّـاني : وهـو الّـذي ينظـر في حركـات الأجسـام السّماويّة سـواء الحركـات الّـتي تعمهـا جـميعا أو الـحركات الّـتي تـخصّ كلّ واحـد منهـا [99].

ويـميّز الفـارابي بيـن قسمـي علـم النّجـوم فيعتبـر أنّ القسـم الأهـمّ هو العلـم النّظـري الّـذي يصـحّ إعتبـاره علمـا، و أمّـا الثّـاني "فإنّـه إنّـما

[99] مـحمّد وقيـدي : م. س. ص 76.

يعـــدّ في القـــوى والـــمهن الّـــتي بـــها يقـــدّر الإنســـان على الإنـــذار بـــما سيكـــون مثـــل عبـــارة الـــرّؤيا والـــزّجر والعرافـــة وأشبـــاه هذه القـــوى" [100].

5 – الجـــزء الخـــامس من علـــم التّعـــاليم هو علـــم الـــموسيقى وينقســـم هذا العلـــم بـــدوره إلي قسميـــن : عملـــي، وهـــو الّـــذي يبحـــث في أصنـــاف الألـــحان مـــحسوسة في الآلات الّـــتي لـــها أعـــدّت، إمّـــا بالطّبـــع وإمّـــا بالصّناعـــة، ونظـــري وهو الّـــذي ينظـــر في أسبـــاب كلّ مـــا يأتلـــف من الألـــحان، لا على أنّـــها في مـــادّة بل على الإطـــلاق، وعلى أنـــّها منتـــزعة عن كلّ آلـــة وعن كلّ مـــادّة، ويأخذهـــا على أنّـــها مسموعـــة على العمـــوم، ومن أيّ آلـــة إتّفقت، ومن أيّ جســـم إتّفـــق [101].

6 – العلـــم السّـــادس هو علـــم ينظـــر في الأثقـــال وهو إمّـــا بـــحث في الأثقـــال من حيث تقـــدر بـــها أو بـــحث في أصـــول الآلات الّـــتي ترفـــع بـــها الأشيـــاء الثّقيلـــة وتنقـــل من مكـــان إلى آخـــر [102].

7 – العلـــم الرّيـــاضي الأخيـــر هو علـــم الحيـــل (الميكـــانيكا) ويعرّفـــه الفـــارابي بـــهدفه فيقـــول بصـــدده :"إنّـــه علـــم وجـــه التّـــدبير في مطـــابقة جـــميع

---

[100] أبـــو نصـــر الفـــارابي: م. س. ص 44.

[101] ن. م. ص 48.

[102] مـــحمّد وقيـــدي : م. س. ص 77.

مـــا يـــرهن وجـــوده في التّعاليـــم الّـــتي سلـــف بالقـــول والبـــرهان على الأجســـام الطّبيعيّـــة وإيـــجادها ووضعهـــا فيهـــا". [103] فهـــو إذن علـــم ريـــاضي ذو عـــلاقة بعلـــم الطّبيعـــة.

تلك مـــجمل العلـــوم الّـــتي يذكـــرها الفـــارابي كـــأجزاء لعلـــم التّعـــاليم، الفصـــل الرّابـــع من كتـــاب الفـــارابي "إحصـــاء العلـــوم" مخصّـــص لعلميـــن هما علـــم الطّبيعـــيّ وعلـــم الإلهـــي وهنـــاك من يعتقـــد أنّ الفـــارابي يـــجمع بين هذيـــن العلميـــن في فصـــل واحـــد لكونـــهما يتعلقـــان معـــا بالـــموجودات الطّبيعيّـــة مع إختـــلاف في وجهـــة النّظـــر والـــمسعى الّـــذي يسعـــى إليـــه كلّ منهمـــا [104].

أ – العلـــم الطّبيعـــيّ :

فأمّـــا العلـــم الطّبيعـــيّ فيعـــرّف لـــدى الفـــارابي بكونـــه علـــم الّـــذي "ينظـــر في الأجســـام الطّبيعيـــة وفي الأعـــراض الّـــتي قوامهـــا في هـــذه الأجســـام، ويعـــرف الأشيـــاء الّـــتي عنهـــا والّـــتي بـــها والّـــتي لـــها توجـــد هذه الأجســـام والأعـــراض الّـــتي قوامهـــا فيهـــا" [105].

---

[103] أبـــو نصـــر الفـــارابي: م. س. ص 49 – 50.

[104] مـــحمّد وقيـــدي م. س. ص 77.

[105] أبـــو نصـــر الفـــارابي : م. س. ص 52.

ويقسّـــم الفـــارابي العلـــم الطّبيعـــي إلى ثـــمانية أقســـام يـــدرس كلّ منهـــا نوعـــا من الأجســـام من البسيطـــة والـــمركّبة، إلى الأجســـام الـــمعدنيّة، إلى النّباتـــات، إلى الأجســـام الحيّـــة.

ب – أمّـــا العلـــم الإلـــهي فإنّـــه ينقســـم عند الفـــارابي إلى ثـــلاثة أقســـام :

- الأوّل : وهـــو العلـــم الّـــذي "يفحـــص فيـــه عن الـــموجودات والأشيـــاء الّـــتي تعـــرض لـــها بـــما هي موجـــودات"، أي أنّ هـــذا العلـــم هو علـــم الكينـــونة من حيـــث هي كينونـــة [106].

- الثّـــاني : وهو الّـــذي "يفحـــص فيـــه عن مبـــادئ البـــراهين في العلـــوم الجـــزئيّة وهي الّـــتي ينفـــرد كلّ علـــم منهـــا بالنّظـــر في موجـــود خـــاصّ" [107].

- والثّـــالث : وهو العلـــم الّـــذي "يفحـــص عن الـــموجودات الّـــتي ليـــس بأجســـام ولا في أجســـام" [108]. ويبـــدأ هذا العلـــم بالبـــرهنة على وجـــود هذه الأجســـام، ثـــمّ على كثرتـــها، ثـــمّ على تفاضلهـــا في الكمـــال فيتابـــع من الكـــامل إلى الأكثـــر كمـــالا إلى أن يصـــل إلى

---

[106] أنظـــر أبـــو نصـــر الفـــارابي : "إحصـــاء الـــعلوم" : ص 60، مـــحمّد وقـــيدي : م. س. ص 78.

[107] أبـــو نصـــر الفـــارابي : م.س ص 60.

[108] ن. م. ص 61.

الأكمـــل الّـــذي لإكمـــال بعـــده، أي إلى الـــموجود الّـــذي لا يـــمكن أن يكـــون قد إستفـــاد وجـــوده عن شـــيء أصـــلا، فيكـــون هـــدف هذا العلـــم أن يثبـــت بصـــدد هذا الـــموجود أنّـــه متقـــدّم على مـــا ســـواه من الـــموجودات وأنّـــه "الـــموجود الأوّل الّـــذي أفـــاد كلّ واحـــد ســـواه الـــوجود وأنّـــه هو الـــواحد الأوّل الّـــذي أفـــاد كلّ شـــيء ســـواه الـــوحدة، وأنّـــه الحـــقّ الّـــذي أفـــاد كلّ ذي حقيقـــة ســـواه الحقيقـــة" [109].

وهكـــذا يتبيّـــن لنـــا ما الّـــذي يـــجمع ومـــا الّـــذي يفـــرّق عند الفـــارابي بين العلـــم الطّبيعـــيّ والعلـــم الإلـــهي فـــإنّه من إهتمـــام العلميـــن معـــا المـــوجودات الطّبيعيّـــة ولكـــن العلـــم الإلـــهي ينتقـــل عبـــر جـــدل صـــاعد من هـــذه الـــموجودات الطّبيعيّـــة إلى أصـــل وجودهـــا الّـــذي هو الـــموجود الأكمـــل والأوّل والحـــقّ.

ويتبيّـــن لنـــا أيضـــا أنّ العلـــم الإلـــهي عند الفـــارابي هو الفلسفـــة بصفـــة عامـــّة، وإنّ هـــذا العلـــم ثـــلاثة أقســـام هي : الفلسفـــة من حيـــث هي بـــحث في الوجـــود من حيـــث هو وجـــود، والفلسفـــة كمبحـــث في الـــمعرفة من حيـــث هي بـــحث في الـــمبادئ الّـــتي تقـــوم عليهـــا العلـــوم الجـــزئيّة، ثـــمّ الـــميتافيزيقـــا من

[109] أبـــو نصـــر الفـــارابي : م.س.ص 62.

حيـث هي بـحث في الحقائـق الّـتي تجـاوز المـحسوسات وصـولا إلى الـموجود الأوّل [110].

هـذه الفصـول الأربعـة السّابقـة من كتـاب الفـارابي هي المخصّصـة للعلـوم النّظريـّة (إعتمـادا على تقسيـم الفـارابي للعلـوم).

و أمّـا الفصـل الخـامس فإنّـه مخصّـص للعلـوم العمليّـة ويـذكر الفـارابي بـه ثـلاثة علـوم هي العلـم الـمدني وعلـم الفقـه وعلـم الكـلام :

- العلـم الـمدني : "يفحـص عن أصنـاف الأفعـال والسنـن الإراديّـة وعن الـملكات والأخـلاق والسّجـايا والشّيـم الّـتي عنهـا تكـون الأفعـال والسنـن. وعن الغايـات الّـتي لأجلهـا تفعـل، وكيف ينبغـي أن تكـون موجـودة في الإنسـان، وكيف ترتيبهـا فيه على الـنّحو الّـذي ينبغـي أن يكـون وجـودهـا فيـه والوجـه في حفظهـا" [111]. فالعلـم الـمدني، إذن، علـم بالأفعـال الإنسـانيّة من حيـث هي أسـاس النّظـام المـجتمعي، وبـحث في غايـات هذه الأفعـال والكيفيّـات الّـتي ينبغـي أن

[110] مـحمّد وقيـدي : م. س. ص 79.

[111] أبـو نصـر الفـارابي : م. س ص 64 – 65.

تتحقّـق بـها السّعـادة وتتـمّ بفضلهـا الرّئـاسة الفاضلـة الّـتي أسـاس الـمدينة الفاضلـة [112].

ويشمـل هـذا العلـم الـمدني جزئيـن :

- جـزء يشمـل تعـريف السّعـادة ويـميّز ما بين الحقيقـة منهـا والـمظنون بـه وعلى إحصـاء الأفعـال والسّيـر والأخـلاق والشّيـم الإراديـّة الكليّـة الّـتي شأنـها أن تـوزّع في الـمدن والأمـم، وتـمييز الفاضـل منهـا من غيـر الفاضـل" [113].
- و جـزء ثـاني : يبحـث في "تـرتيب الشّيـم والسّيـر الفاضلـة في الـمدن والأمـم" [114].

- علـم الفقـه : ولـه غايـة أخـرى لأنّـه علـم متعلّـق بالشّـريعة. فـالفقه صنـاعة "هي الّـتي يقتـدر الإنسـان على أن يستنبـط تقديـم شـيء مـمّا لم يصـرّح واضـع الشّـريعة بتحديـده على الأشيـاء الّـتي صـرّح فيهـا بالتّحديـد والتّقـدير،

---

[112] مـحمّد وقيـدي : م.س. ص 79.

[113] أبـو نصـر الفـارابي : م.س.ص 67.

[114] ن. م. ص 67.

وأن يتحـرّى تصحيـح ذلك حســب غــرض واضــع الشّــريعة بالــملّة الّــتي شــرّعها في الأمّــة الّــتي كلّهــا شــرع" [115].

فــالفقه إذن صناعــة عمليّــة تــهدف إلى إستنبــاط الأحكــام بصــدد القضايــا الّــتي لــم يــرد فيهــا نــصّ شــرعيّ واضــح، ولكــن بالإعتمــاد على مــا ورد فيــه نــصّ.

- علــم الكــلام : وهــو صنــاعة أخــرى متعلّقــة بالشّــريعة. وهــذه الصّنــاعة غيــر الفقــه، لأنّ الــمتكلم لا يستنبــط الأحكــام جديــدة و إنّــما يقصــر همّــه في "نصــرة الآراء والأفعــال الــمحدودة الّــتي صــرّح بــها واضــع الــملّة، وتــزييف كلّ مــا خالفهــا بالأقــاويــل" [116].

هــذه هي العلــوم الثّــلاثة الّــتي يعــرض لــها الفــارابي في الفصــل الخــامس من كتابــه"إحصــاء العلــوم"، وهي علــوم عمليّــة.

وبــهذه العلــوم تنتهــي سلسلــة العلــوم الّــتي يذكــرها الفــارابي في كتابــه "إحصــاء الــعلوم".

---

[115] أبــو نصــر الفــارابي : م.س. ص 69 - 70.

[116] ن. م. ص 71.

لقـــد إكتشفنـــا ونـــحن نعـــرض هـــذا التّصنيـــف، أنّ الفـــارابي لا يكتفـــي بإحصـــاء العلـــوم الموجـــودة في عصـــره وتعدادهـــا، بل هو يعمـــل فـــوق ذلك على ترتيبهـــا بنـــاء على بعـــض الـــمبادئ الـــمعرفيّة.

ويشيـــر عثمـــان أميـــن في مقدّمتـــه لكتـــاب "إحصـــاء العلـــوم" يبـــدو لنـــا حين التّـــأمل أنّ الفـــارابي قد رتّـــب العلـــوم بـــهذا الـــوضع ترتيبـــا مـــخصوصا يـــجري على نســـق طبيعـــيّ ويـــلائم الإرتبـــاط الـــمنطقي بيـــن الموضوعـــات [117].

أ – يسيـــر تـــرتيب الفـــارابي للعلـــوم (كمـــا ذهـــب إليـــه بعـــض الـــدّارسين) متـــدرّجا من الأعـــمّ إلى الأقـــلّ عمـــوميّة [118].

وهكـــذا يوضـــع علـــم اللّســـان في البـــداية لأنّـــه في نظـــر الفـــارابي أعـــمّ العلـــوم. فليـــس هنالك علم بـــدون لســـان، ولذلك كـــانت دراســـة اللّغـــة ســـواء من حيث دلالتهـــا أو من حيث تـــركيبها أمـــرا يـــمهّد لـــدراسة كلّ العلـــوم الأخـــرى.

ويلـــي هذا العلـــم الأوّل علـــم الـــمنطق، وعلم الـــمنطق عند الفـــارابي أقـــلّ عمـــوميّة من علـــم اللّســـان وذلك لأنّ "موضوعـــات الـــمنطق وهي الّـــتي فيهـــا

---

[117] يـــونس أحـــمد الـــخاروف : "تصنيـــف الفـــارابي وابـــن خلـــدون للمعـــرفة البشريّـــة : دراســـة مقـــارنـــة، ص 341.

[118] مـــحمّد وقيـــدي : م. س. ص 80.

تعطـــى القـــوانين فهي الـــمعقولات من حيث تدلّ عليهـــا الألفـــاظ، والألفـــاظ من حيث هي دالّـــة على الـــمعقولات" [119] ولذلك فـــإنّ دراســـة دلالـــة الألفـــاظ وبنيـــة اللّســـان أعمّ، فكان العلـــم الّذي يدرسهـــا أولى بأن يكـــون أسبـــق في التّـــرتيب [120]. وضمن العلـــم الثّـــالث في التّـــرتيب وهو علـــم التّعـــاليم، نـــجد أن تـــرتيب العلـــوم الّـــتي يشملهـــا يـــدأ بعلـــم العـــدد، ويتبعـــه بعلـــم الـــهندسة، وهـــذا لأنّ علـــم العـــدد في نظـــر الفـــارابي، أعـــمّ من علـــم الـــهندسة، لأنّ علـــم العـــدد يدخـــل في كلّ العلـــوم الّـــتي تليـــه بـــما فيهـــا علـــم الـــهندسة.

والـــملاحظ في العلـــوم الرّيـــاضيّة كما يذكرهـــا الفـــارابي أنـــّها تضـــمّ جـــملة من العلـــوم الأخـــرى مثـــل علـــم النّجـــوم الـــمتعلّق قســـمه الأهـــمّ بالإجـــرام السّماويّـــة، وعلـــم الـــموسيقى الّـــذي هو علـــم الألـــحان. إلاّ أنّ مـــا يلاحـــظ فيهـــا أقـــوى من ذلك هـــو أنّـــها إذ تبـــدأ بعلـــم العـــدد بكونـــه علمـــا ينفـــذ إلى كـــلّ العلـــوم الأخـــرى، تنتهـــي بعلـــم الحيـــل وهـــو العلـــم الّـــذي يـــمكن تبعـــا لتعريفـــه الّـــذي سلـــف ذكـــره، أي من حيـــث هو يبحـــث في تدبيـــر

[119] أبـــو نصـــر الفـــارابي : م.س.ص 17.

[120] مـــحمّد وقيـــدي : م.س ص 80.

تطبيـــق البراهيـــن الـــمحصّلة على الأجســـام الطّبيعيّـــة، العلـــم الّـــذي هو بـــمثابة الجســـر الـــرّابط بين العلـــوم الرّياضيّـــة والعلـــوم الطّبيعيّـــة [121].

والعلـــم الطّبيعـــيّ الّـــذي يلي العلـــوم الرّيـــاضيّة في التّـــرتيب أقـــلّ عمـــوميّة منهـــا لأنّـــه متـــوقّف عليهـــا، وهو علم تتـــوحّد فيـــه كلّ علـــوم الطّبيعـــة بـــما في ذلك تلك الّـــتي تـــدرس الأجســـام الحيّـــة.

ومن الواضـــح أنّ العلـــوم الأخـــرى أقـــلّ عموميّـــة، وخاصّـــة العلـــوم العمليّـــة كالعلـــم الـــمدني والفقـــه وعلم الكـــلام، لأنّـــها متوقّفـــة على ما يسبقهـــا في التّرتيـــب من العلـــوم الأخـــرى، أمّـــا العلـــم الإلـــهي فإنّ قيمتـــه لا تـــأتي من عموميّتـــه بل من طبيعـــة موضوعـــة، فإذا صـــحّ إعتبـــاره أشـــرف العلـــوم فلكونـــه يتعلّـــق بالبحـــث في أكمـــل الكـــائنات على الإطـــلاق [122].

ب – يـــرتّب الفـــارابي العلـــوم مبتدءا بالعلـــوم النّظـــرية، ومنتهيـــا بالعلـــوم العمليّـــة. ولكنّنـــا نلاحـــظ أن التّمييـــز بين ما هـــو نظـــري وما هو عملـــي يوجـــد عنـــد الفـــارابي داخـــل كلّ علـــم من العلـــوم النّظـــريّة الّـــذي يذكّـــرها، وهي الّـــتي يـــخصّص لـــها الفـــارابي الفصـــول الأربعـــة الأولى من كتابـــه وهي : علـــم اللّســـان، وعلـــم الـــمنطق، وعلـــم التّعاليـــم، والعلـــم الطّبيعـــي والعلـــم الإلـــهي.

---

[121] مـــحمّد وقيـــدي : م. س. ص 80.

[122] ن. م. : ص 81.

وداخـــل هـــذه العلـــوم وضمـــن تقسيمهـــا نـــجد أن الـــمرتّبة الأولى تكـــون للجـــزء النّظـــري من كـّــل علـــم.

أمّـــا العلـــوم العمليّـــة فهي الّـــتي يـــجمعهـــا الفـــارابي في الفصـــل الخـــامس والأخيـــر لكتابـــه، وهي كما ذكرنـــا ثلاثـــة :

- العلـــم الـــمدني،
- وعلم الفقـــه،
- وعلم الكـــلام.

وهـــذه العلـــوم تـــأتي تـــالية في التّـــرتيب على العلـــوم النّظـــريّة لأنّهـــا تتوقّـــف على معرفـــة بـــها، وخاصّـــة على آخـــر هـــذه العلـــوم في التّرتيـــب، أي العلـــم الإلـــهي، لأنّـــه العلـــم الّـــذي يوقفنـــا على وجـــود ووحدانيّـــة أكمـــل الكـــائنات وأصـــل وجودهـــا، فيعطينـــا بذلك القـــاعدة الّـــتي نعتمدهـــا للتّفكيـــر في الـــموضوعات الّـــتي تتنـــاولـــها العلـــوم التّـــالية.

ثـــمّ إنّ هـــذه العلـــوم العمليّـــة بذاتـــها مرتّبـــة تبعـــا لـــدرجة عموميّتهـــا. فالعلـــم الـــمدني هو علم نظـــام الـــمجتمع بصفـــة عامّـــة، العلـــم الّـــذي يبحـــث في شـــروط تحقّـــق الـــمجتمع الفـــاضل.

أمّـــا الفقـــه فهـــو علـــم يتعلّـــق بالـــمجتمع الّـــذي به شـــرع، لأنّ هدفـــه كما رأينـــا هـــو إستنبـــاط أحكـــام جديـــدة في الأمـــور الّـــتي لم ينـــصّ عليهـــا الشّـــرع بصفـــة صريـــحة [123].

و أمّـــا علـــم الكـــلام فهـــو أخـــصّ هذه العلـــوم جـــميعا لأنّـــه نشـــأ لنصـــرة الشّـــريعة الإســـلاميّة. إلاّ أنّنـــا فضـــلا عن هـــذا المبـــدأ العـــام في تـــرتيب العلـــوم العمليّـــة، نستطيـــع أن نقـــول بأنّ ترتيبهـــا على ذلك النّـــحو يعكـــس وجهـــة نظـــر ميتـــافيزيقيّـــة للفـــارابي. فأسبقيّـــة العلـــم الـــمدني على العلميـــن الآخـــرين الـــمتعلّقين بالشّريعـــة ينسجـــم مع التّصـــوّر الـــميتافيزيقـــي للفـــارابي بإمكـــان قيـــام مـــجتمع إنســـاني دون شـــرع [124].

نلاحـــظ أنّ الفـــارابي قد جعـــل بعـــض الفنـــون مثـــل الـــمنطق وعلـــم الـــحيل وعلـــم الـــمناظر علومـــا وهـــذا يعـــني ردم الـــهوّة بين الفـــنّ والعلـــم كما جعـــل العلـــوم الشّـــرعيّة علومـــا عقليّـــة وهـــذا يعـــني تـــخليص علـــم الكـــلام وعلـــم الفقـــه من صبغتهمـــا الدّينيّـــة فهنـــاك تـــجانس بين العلـــوم. فالعلـــوم الشّـــرعيّة علـــوم عقليّـــة لا تقـــلّ قيمـــة عن العلـــوم الأخـــرى.

---

[123] مـــحمّد وقيـــدي : م. س. ص 81.

[124] ن. م. ص 81

ج – يعكـس تصنيـف العلـوم عند الفـارابي مفهـوم العلـم في عصـره، كمـا يعكـس عليـه وجهـة النّظـر الخاصّـة بالفـارابي كفيلسـوف، تلك الّـتي يـمكن تبيّنهـا في مذهبـه الفلسفـي بصفـة عامّـة.

من حيـث مستـوى النّظـر إلى العلـم يـمكن أن نقـول أنّ هنـاك مظهـرين :

- الأوّل : وهـو معيـار العلميّـة، ومن الواضـح أنّـه لـم تكن قد بـرزت في عصـر الفـارابي المعايـير الوضعيّـة للعلـم كما نـجده اليـوم، فـإنّ كثيـر من الـمعارف الّـتي يذكرهـا الفـارابي ضمـن إحصائـه للعلـوم يـمكن أن لا تظهـر من وجهـة النّظـر الوضعيّـة قابلـة لأن توضـع مثل هذا الـموضع، ليس فقـط لأنّـها لم تبلـغ الـمرحلة العلميّـة بعد، ولكـن فـوق ذلك لأنّـها لاهـوتية بالـموضوعات الّـتي تتناولـها.

إنّ معايـير العلميّـة في عصـر الفـارابي، تلك الّـتي تـجعلنا نصنّـف أيّـة معرفـة كعلـم كـانت تنحصـر في وجـود موضـوع خـاص لـهذه الـمعرفة. ولـم تكـن قضيّـة الـمنهج قد أخـذت الأهمّيـة الّـتي ستكـون لـها لاحقـا.

- الـــمظهر الثّـــاني : وهـــو الّـــذي يعكـــس فيه تصنيـــف الفـــارابي الـــمستوى العلمـــي في عصـــره فيتمثّـــل في الصّـــورة الّـــتي يقـــدّم لنـــا عليهـــا بعـــض العلـــوم الّـــتي يذكـــرها في تصنيفـــه. وهكـــذا نـــجد مثـــلا أنّ علم النّجـــوم الّذي يـــدرس الأجســـام السّمـــاويّة يقـــدّم لنـــا منقسمـــا إلى جـــزئين لا يـــمكن قبـــول أوّلـــهما كعلـــم في الـــوقت الحـــاضر وهـــو القســـم الـــمتعلّق بـــدلالـــة الكـــواكب على مـــا سيحـــدث في الـــمستقبل، فـــإنّ هـــذا القســـم لا يدخـــل في نطـــاق علـــم الفلك الـــمعاصر.

كما نـــجد أنّ البنيـــة الّـــتي يقـــدّم لنا بـــها الفـــارابي العلـــم الطّبيعـــي تتجـــاوز في موضوعـــه وفي أهدافـــه ما يـــمكن أن نـــحدّده اليـــوم للعلـــوم الطّبيعيّـــة.

فالعلـــم الطّبيعـــي يـــدرس الـــموجود من حيث هو موجـــود، أي أنّـــه ينطلـــق في البحـــث عن العلـــل الأولى الّـــتي إمتـــع العلـــم الـــمعاصر اليـــوم في حـــدوده كمعرفـــة علميـــّة عن البحـــث فيهـــا وأقتصـــر على البحـــث عن القـــوانين بوصفهـــا العـــلاقات الثّـــابتة بيـــن الظّـــواهر.

إنّ العلـم الـمعاصر لا يبحـث عن غايـات الظّـواهر في حيـن أن هـذا البحـث هو جـزء من العلـم الطّبيعـي كمـا يـراه الفـارابي [125].

ولكـن ذلك لا ينفـي وجـود نظـرة جديـدة للمعرفـة تقـوم على تطبيـق ما هـو ريـاضي في التّجربـة الحسيّـة وهـذا نـجده في علـم الحيـل.

ونـجد الفـارابي أيضـا في الفصـل المتعلّـق بعلـوم الطّبيعيّـة يـميّز بين الأجسـام الطبيعيّـة والأجسـام الإصطنـاعيّة مثـل الـزّجاج والأواني الـمصنوعة منـه.

والخـلاصة يـجب التّعـرّف على الأجسـام الطبيعيّـة بالـمقارنة مع الأجسـام الإصطناعيّـة، إذ في الأولى تبـرز التفـاعلات الـماديّة والبنيـات بشكـل مـرئي. ولكـن الفـارابي سـرعان ما ينظـر إلى حـالات وسطيّـة بين الطّبيعـة والفـنّ [126]. ويقـول في كتـاب "إحصـاء العلـوم" : قد يوجـد أيضـا في كثيـر من الأجسـام الصّناعيّـة ما ليـس صيغتهـا مـحسوسة، مثـل الخمـر: فإنّـه جسـم أوجـد بالصّناعـة، والقـوّة الّـتي بـها يسكـر غيـر مـحسوسة، وإنّمـا يعـرف وجودهـا بفعلهـا، وتلك القـوّة هي صـورة الخمـر وصيغتهـا، ومنزلتهـا

[125] مـحمّد وقيـدي : م.س ص 82.

[126] رنيـحه تـاتون : م.س. ص 446.

من الخمـر منزلـة الحـدّ من السّيـف : إذ كـانت تلك القـوّة هي الّـتي تفعـل الخمـر فعلهـا" [127].

نـلاحظ بعـد الأهمّيـة الـمعطاة للعمـل، وللخصائـص الفعّـالة، في تعـريف الصّنـاعة وكذلك نـلاحظ الـرّجوع العجيـب إلى هـذه العمليّـات الّـتي يسـاعد فيهـا الإنسـان الطّبيعـة.

إنّ الـمقارنة الدّقيقـة تقـع إذن بين الأجسـام الطبيعيّـة، والأجسـام الّـتي يستطيـع الإنسـان أنّ يصيغهـا، لا بواسطـة قـواه وحـدها، بل بـمساعدة الطّبيعيّـة [128].

ويـرى بعـض الشّـراح أن الفـارابي يدخـل في علـم الجـاذبيّة الأرضيّـة، موضوعيـن ربّمـا كان إحداهمـا أكثـر تـجريدا من الآخـر، دون أن يكـون بالضّـرورة نظريّـا أكثـر. فهنـاك فعـلا، وبالـدّرجة الأولى دراسـة الأوزان كمعاييـر ثـمّ هنـاك البحـث عن "مبـدأ الآلات الّـتي تستطيـع رفع الأثقـال، ونقلهـا من مكـان إلى آخـر".

---

[127] أبـو نصـر الفـارابي : م.س.ص 94.

[128] رنيـحه تـاتون : م.س.ص 447.

والميكـانيك بـدوره، يعـرف بأنّـه علم معالـجة الأجسـام الطبيعيّـة الـمنسجمة مع العـلاقات الرّياضيّـة القائمـة، ومن جهة أخـرى بأنّـه فنّ أستحـداث هـذه العـلاقات بين الأجسـام. وهـذا هو بالتّـالي التمييـز بين الميكـانيك العقـلاني والميكـانيك الفيـزيائي.

وإذا فهـذا التّصنيـف يستخـدم، رغـم بعـده عن كلّ تقسيـم تـحليلي للعلـوم، لربـط الـمعرفة التّـأمليـّة والـمهارة اليدويّـة في الـمهن، وفي العلـوم ذات العـلاقة بالـموجودات والكائنـات الطبيعيّـة، مثـل الميكـانيك، فالـمسافة بين "النّظـريّة" والتطبيـق توشـك أن تـزول، ومفهـوم العلـم والفـن (أو الصّنعـة) ينتهيـان إلى التّـزاوج، رغـم الفـارق النّظـري بينهمـا [129].

ليس مـا قدّمنـاه هنـا نقـد للفـارابي، بقـدر مـا هو مـحاولة لفهـم بعـض الحـدود الّـتي تبـدو لتصنيفـه للعـوم في ضـوء مستـوى العلـم في عصـره.

أمّـا من حيـث أن تصنيـف الفـارابي يعكـس موقفـه الـميتافيـزيقي العـام، فإنّ ذلك يظهـر من النّظـر إلى مـجموع الـمعارف الّـتي يـحصيها. ذلك لأنّنـا إذا نظـرنا إلى هذه الـمعارف من وجهـة نظـر تصنيـف سابـق وهـو

[129] رنيـحه تـاتون : م.س.ص 444.

الّـذي قدّمـه أرسطـو، فإنّ الأمـر لا يتعلّـق هنا بطبيعـة الأمـر بـمعايير وضعيّـة للعلـم كتلك الّـتي نـجدها اليـوم، بل يتعلّـق بتأثيـر عامـل جديـد أخـذه الفـارابي بعيـن الإعتبـار ولـم يكن له إعتبـار عند أرسطـو وهو الشّـريعة الجديـدة.

فتصنيـف الفـارابي يضـمّ علميـن دينيّـين هما علم الفقـه وعلـم الكـلام وهمـا علمـان لم يكـن أرسطـو يدمـجهما في تصنيفـه، أو يدمـج ما يـمكن أن نضعـه في مقـابلهمـا [130].

إنّ عقـلانيّة موقـف الفـارابي النّسبيّـة تـجعله يـبدأ ترتيبـه للعلـوم، لا بالعلـوم الدينيّـة، وإنّمـا بالعلـوم النّظريّـة الّـتي يعتبرهـا أسـاس الـمعرفة باعتبارهـا علـوم الـوسيليّة، إذ هي الّـتي يتوسّـل إليهـا بكـلّ معرفـة.

إنّ لعلـم اللّسـان والـمنطق كعلميـن نظرييـن أسبقيّـة في ترتيـب الفـارابي على الفقـه كعلـم عملـي.

ومن جهـة أخـرى فإنّ معـرفة الـموجود الأوّل، وهي الـمعرفة الّـتي لا غنـى عنهـا للعلـوم الدّينيّـة، ترجـع عند الفـارابي إلى علـم نظـري أساسـه العقـل هو العلـم الإلـهي.

---

[130] مـحمّد وقيـدي : م.س.ص 82.

وفي الواقـع فإنّ هـذا ينسجـم مع رأي الفـارابي في إمكـانيّة قيـام مـجتمع بـدون شـرع دون أن تغيـب عنه معرفـة بالـموجود الأوّل، أي بإمكـان بلـوغ معرفـة بـهذا الـموجود عن طريـق العقـل [131].

تلـك أهـمّ الـمبادئ الّـتي يـمكن فهـم تصنيـف العلـوم عند الفـارابي في ضوئهـا.

[131] مـحمّد وقيـدي : م.س.ص 83.

الفصـــل الثّـــاني : مفهـــوم التّـــربية عنـــد الفـــارابي :

إنّ مثـــل هـــذا العنـــوان عند الفـــارابي يهـــمّ الكثيـــر، لأنّ أغلبيّـــة البـــاحثين والشـــرّاح لفلسفتـــه قد أغفلـــوا هـــذا الجـــانب (يعـــني التّـــربية) على حســـاب المنطـــق والميتـــافيزيقـــا والسّيـــاسة. ونـــحن نعلـــم جيّـــدا مثـــلا أنّ الفـــارابي قد درس كتـــاب الجمهـــوريّة لأفـــلاطون وتأثّـــر بأفكـــاره التّـــربويّـــة[132].

وعنـــد البحـــث في كتبـــه الـــهامّة مثـــلا في كتـــاب"الـــمدينة الفاضلـــة"، وكتـــاب "تـــحصيل السّعـــادة"، وكتـــاب "إحصـــاء العلـــوم"...، نـــجد بعـــض الإشـــارات تـــدلّ على أن الـــمعلّم الثّـــاني قد تنـــاول هـــذا الـــموضوع ووضـــع تصـــورا معيّنـــا للإطـــار العـــام للنّظـــام التّـــربوي الّـــذي ينشـــده، ثـــمّ حـــدّد أهدافـــه وفقـــا لنظـــرته في الحيـــاة، وفصـــل الـــمنهج العلمـــي الـــمناسب لتصـــوّراتـــه وذلك بتصنيـــف العلـــوم حسب فـــوائدهـــا وصفـــات العالـــم الـــمربّي، وأسلـــوب التّعـــامل بيـــن العالـــم والمتعلّـــم إلى ما هنـــالك من تفصيـــلات تـــحيط بالـــموضوع.

---

[132] يـــرى بعـــض الـــمؤرّخون للفلسفـــة أنّ كتـــاب الـــجمهوريّـــة لأفـــلاطون يعتمـــد أســـاسا علـــى التربيـــة، أنظـــر في هـــذا الشـــأن : Edward Zeller, oullines of the history of Greek philosophy, NewYork, Dover publications, inc., 1980,p140

لكـــن يـــجب أن نـــلاحظ قبـــل كلّ شيء إنّنـــا لسنـــا على إستعـــداد إطلاقـــا أن نـــخوض ذلك "البحـــر"، لأنّ مسألـــة التّـــربية في كلّ زمـــان ومكـــان كـــانت من أهـــمّ الـــمشكلات الإجتماعيّـــة الّـــتي عاشتهـــا الإنســـانيّة، فلذلك يتطلّـــب هذا الموضـــوع بـــحثا آخـــر غيـــر الّـــذي نـــحن في إنـــجازه الآن حتّى يتـــمّ الإلـــمام بـــجميع أنـــحائه.

إذا ســـوف نقتصـــر عملنـــا هنـــا فيمـــا يتعلّـــق بفمهـــوم التّـــربية عند الفـــارابي وفيمـــا يتعلّـــق أيضـــا بعـــلاقتهـــا بالعلـــم في فلسفتـــه.

ولا يهمّنـــا أنّ الفـــارابي قد إستعمـــل مصطلـــح "التّـــربية" أو لـــم يستعملـــه، المهـــمّ أن تكـــون الـــمباحث الّـــتي يشملهـــا المصطلـــح المـــعاصر ويدلّ عليهـــا موجـــود عند الـــمعلّم الثّـــاني، ومـــن ثـــمّ يصبـــح إستخـــدام المصطلـــح مبـــرّرا لوصـــف إنـــجازات الفـــارابي العمليّـــة والفكريّـــة في هـــذا الـــمجال.

إلى أيّ مـــدى يـــمكن أن يكـــون الفـــارابي قد أنشـــأ فلسفـــة للتّـــربية ونظـــرة خاصّـــة إليهـــا ؟

وما هي عـــلاقة "مفهـــوم التّـــربية" بـــ "مفهـــوم العلـــم" عند الفـــارابي ؟

يـــمكن إعتبـــار الفـــارابي أحـــد الفـــلاسفة الكبـــار الّـــذين أرادوا أن يفسّـــروا "كلّ مـــا في الكـــون" إبتـــداء من أبســـط الأشكـــال الفيـــزيقيّـــة وإنتهـــاءا

بأرقـى درجـات الـوجود. فالفكـر عند مثـل هذا الفيلسـوف وحـدة متكاملـة، وبالتّـالي فـإنّ إنـجازه في أيّ جـانب من جـوانب الفكـر يؤثّـر على بـاقي الجـوانب [133]. فلذلك لا مفـرّ من أن نفهـم نظـريّته في التّـربية في ضـوء تفكيـره الفلسفـي في شـموله وتشعّبـه.

أ – غـايـات التّـــربيـة :

إنّ من غايـات التّـربية عند الفـارابي أن "يـحصل بـها الإنسـان الكمـال الّـذي من أجلـه كـوّن" [134] و"الكمـال الّـذي يطمـح إليـه الفـارابي من التّـربية هو ربـط الـمعرفة بالأخـلاق الفاضلـة، إنّـه في نفـس الـوقت السّعـادة والخيـر" [135].

و إذا سلّمنـا أنّ التّـربية نشـاط إنسـاني مـرتبط بسعـي البشـر نـحو السّعـادة، فمـن الطّبيعـيّ أن يكـون موضوعهـا – عند الفـارابي – هـو الإنسـان – أوّلا – من حيـث هـو كـائن يطمـح إلى تـجاوز مستـوى الضّـرورة، إلاّ أنّ الإنسـان بـهذا الـمعنى ليس كائنـا منعـزلا عن غيـره أو عن الطّبيعـة بل هو

[133] الفـارابي : "تـحصيل السّعـادة"، ص 61.

[134] ن. م. ص 61.

[135] أنظـر: Ammar Talbi Ibid, p3.

كائـــن لا يـــمكن لحياتـــه أن تقـــوم دون علاقـــات تربـــط بينـــه وبين الآخـــرين وتربـــط بينـــه وبيـــن الطّبيعـــة على السّـــواء.

ويـــؤكّد الفـــارابي، في "التّنبيـــه على سبيـــل السّعـــادة" أنّ الغـــاية الأولى الّـــتي تتمحـــور حولـــها الـــميول والرّغبـــات وكلّ قـــوى الفرد هي السّعـــادة [136].

ومـــن غايـــات التّـــربية أيضـــا تكـــوين رؤســـاء الـــمدينة والأمـــم لأنّ حســـب رأي الفـــارابي "الجهـــل عند الـــملوك أكثـــر ضـــررا منـــه في العـــوام" [137] لأنّـــه يعهـــد إلي الـــرّئيس بـــمهمة هي إشـــرف الـــمهام : أن يسيّـــر أمـــور الـــمجتمع، فهـــو مطـــالب بـــان يكـــون أســـاس النّظـــام والتنـــاسق، في كلّ مـــرافق الحيـــاة وكـــأنّ مكانـــه من الـــمدينة كمكـــان القلـــب من جســـد الإنســـان [138].

إنّ تـــحقيق السّعـــادة الإنســـانيّة هـــو ما يحلـــم بـــه الفـــارابي، ولكـــن تلك السّـــعادة لا يـــمكن أن تـــحصل إلا بعلـــم بعينـــه وسيـــرة بعينهـــا.

أمّـــا العلـــم فيتحقّـــق عن طريـــق الصّناعـــة النّظريّـــة وهي أرقى أقســـام الفلسفـــة، وأمّـــا السّيـــرة فتتحقّـــق عن طريـــق الصّناعـــة العمليّـــة الّـــتي تتـــولّى

---

[136] مـــحمّد عـــزيز الـــحبابي : دراســـات فلسفيّـــة وأدبيّـــة ع 1 1976، ص 122.

[137] الفـــارابي : تلخيـــص نـــواميس أفـــلاطون عن الـــمخوط رقـــم 1229 في لنـــدن بـــهولندة تـــحقيق وتعليـــق الـــدّكتـــور بـــدوي عبـــد الـــرّحمان دار الأندلســـي للطّبـــاعة والنّشـــر والتّـــوزيع عـــام 1980 ط 2، ص 55.

[138] مـــحمّد عـــزيز الـــحبابي : م. س. ص 127.

تقويم الأفعال وتوجيه الأنفس نحو السّعادة[139] ولكي تشمل السّعادة أكثر ما يمكن من أفراد المدنية، وأكثر ما يمكن من مدن وقرى والأمّة، ولكي تدوم وتصان من عبث الظّروف ومن سيّئات "النّوابت"، يلزم قيام "سياسة مدنيّة". وغاية السّياسة عند الفارابي أن تجعل النّاس يبلغون السّعادة"وبلوغ السّعادة إنّما يكون بزوال الشّرور عن المدن والأمم". لكن لا أخلاق ولا دين ولا حياة مدنيّة ولا سعادة بدون فضيلة، لأنّ الأفعال الإراديّة الّتي تنفع في بلوغ السّعادة هي الأفعال الجميلة، وأمّا الملكات الّتي تصدر عنها تلك الأفعال فهي الفضائل[140].

والفضائل عند الفارابي – لا تنال إلاّ عن طريق التّعليم أو التّأديب ويبيّن الفارابي الفرق بين التّعليم والتّأديب قائلا : "التّعليم هو إيجاد الفضائل وفي الأمم والمدن، والتّأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقيّة والصّناعات العمليّة في الأمم".

إذا بالتّعليم يتمّ إيجاد الفضائل النّظريّة وبالتّأديب تتحقّق الفضائل الخلقيّة والصّناعات العمليّة. أمّا الفضائل النّظريّة فتعلم

---

[139] جابر عصفور : م.س.ص 16.

[140] أنظر : كتاب تحصيل السّعادة ص 29–31.

بالطّـــرق الإقنـــاعيّة أو بطريـــق التّخيـــل. أمـــّا التّـــأدب بالفضائـــل العمليّـــة، فيتـــمّ عن طريـــق الأقـــاويل الإقنـــاعيّة أو الإنفعـــالية أو الإكـــراه [141].

فـــالتّربيـــة هنـــا وبـــهذا الشّكـــل تـــرادف معنى العلـــم من حيث تقسيمـــه إلى نظـــري وعملـــي.

نعـــود تكـــرارا لنتـــوقّف في ختـــام تعرضنـــا لمفهـــوم التّـــربية، داخـــل الحكمـــة العمليّـــة في إحصـــاء العلـــوم للفـــارابي، عند تفتطيـــن :

- الـــجانب الإبستيمـــولوجـــي والبيـــداغـــوجي،
- والـــجانب الأخـــلاقي والسّيـــاسي.

1 – الجـــانب الإبستيمـــولوجـــي والبيـــداغـــوجي :

لكـــي تبلـــغ التّـــربية أهدافهـــا في كلّ عصـــر، يـــجب تـــأسيس (أو وضـــع) برنامـــج للتّـــدريس، مفصّـــل يذكـــر فيـــه مـــواد الدّراســـة (التّعليـــم أو التّعلّـــم)، الّتي تـــمكّن الفـــرد من نـــاحية معـــرفة ثقافـــة وطنه والمجموعة الّـــتي ينتمـــي إليهـــا. ومن ناحيـــة أخـــرى تـــمكّن الفـــرد من الأخـــذ بناصيـــة العلـــوم الّـــتي تساعـــده على الرّشـــاد وتـــهذيب حواســـه وإنضـــاج أحكامـــه وأفعالـــه.

[141] الفـــارابي : ن. م. ص 29 – 31.

فتقسيـم العلـوم في تربويّـات العـربيّة الإسـلاميّة عمومـا عمـل يهـدف أيضـا إلى عـرض العلـوم (أو الـمواد التّعليميّـة) الـموجودة والـممكن تعلّمهـا والـواجب تحصيلهـا، بالتّـدرج، وبحسب سلّـم أولـويّات.

بذلك نستطيـع اعتبـار كتـاب إحصـاء العلـوم للفـارابي كتـابا تعليميّـا تربويّـا : "هـو كتـاب لا يستغـني طـلاّب العلـوم كلّهـا عن الإهتـداء بـه، وتقديـم النّظـر فيـه" [142].

فهـو إذا كتـاب تربـوي لأنّـه يقـدّم لنـا العلـوم بتعـريفاتـها وأهدافهـا لغـاية هي توجيـه الطّـالب صـوب العلـوم الّـتي توافقـه، أو يـرنوا لتحصيلهـا إن أراد أو إستطـاع [143].

ويـمكن إعتبـار الفـارابي أوّل فيلسـوف مسلـم صنّـف العلـوم والـمعارف ليس فقـط لإحصـائها وإنّـما أيضا لغايـة بيـداغوجيّـة.

فـحسب الفـارابي يـجب أن تبـدأ العمليّـة البيـداغوجيّـة من اللّغـة باحتـرام قوانينهـا الدّاخليّـة خاصّـة النّحـو، حتّى يستطيـع الـمتعلّم أن يعبّـر في

---

[142] القفطـي : م. س. ص 603.

[143] أنظـر مقـدّمة كتـاب " إحصـاء العـلوم" الفـارابي : ص 19.

لغـــة مـــحدّدة مثـــل الآخـــرين. وكلّ من كان غيـــر قـــادر على فهـــم الآخـــرين وإفهـــامهم، فإنّ نـــموّه وتطـــوّره لا يكـــون مـــمكنا.

إنّ التّمكّـــن من اللّغـــة الـــجماعيّة الـــمؤسّسة لكلّ المعـــارف الأخـــرى ضـــروريّ، وقـــد كان الفـــارابي شـــديد الـــوعي بأهميّـــة اللّغـــة وتأثيـــرها.

بعـــد ذلك يعتـــني الفـــارابي بالـــمنطق الّـــذي يعتبـــره أحيـــانا آلـــة للعلـــوم ومناهجهـــا، وهـــو ما يســـاعد على التّفكيـــر السّليـــم لأنـــّه مرتبـــط إرتباطـــا وثيقـــا باللّغـــة.

وفي اللّغـــة العـــربيّة كلمـــة منطـــق تـــجمع النّطـــق والصّـــرامة العقليّـــة لذلك يـــأتي التّمكّـــن في اللّغـــة قبل تـــحديد قـــوانين الـــذّهن و إعدادهـــا[144].

بعـــد ذلك تـــأتي الرّيـــاضيات الّتي يسميهـــا فـــلاسفة الإســـلام (التّعليـــم). ويعتبـــر الفـــارابي وجـــوب الانطـــلاق من علم الأعـــداد (Arithmétique) لأنّـــها تـــحتوي مرحلـــة هامّـــة في تـــرتيب العلـــوم النّظـــرية يقـــول الفـــارابي :"الّـــذي يـــروم أن يتعلّـــم الفلسفـــة النّظـــرية يبتـــدئ من الأعـــداد ثـــمّ يرتقـــي إلي الأعظـــام، ثم إلى ســـائر الأشيـــاء الّـــتي تلحقهـــا الأعـــداد والأعظـــام بالـــذّات،

[144] أنظـــر: جعفـــر آل يـــاسين : "فيلسوفـــات رائـــدان الكنـــدي والفـــارابي"، البيـــرون دار الأندلـــس 1980، ص 80.

مثـل الـمناظر. والأعظـام الّـتي هي الأجسـام السّمـاوية والـموسيقى و إلى الأثقـال والـحيل، وهذه أشيـاء تفهـم وتتصـوّر بلا مـادّة، ويـرتقي قليـلا قليـلا في الأشيـاء الّتي تـحتاج في أن تفهـم وتتصـوّر إلي مـادّة إلى أن يصيـر إلى أجسـام السماويـّة[145].

وبالفعـل لدراسـة علـم الـمناظر، وعلـم الفلك، وكلّ العلـوم الطّبيعيّـة بصـورة عـامّة، فنحـن في حاجـة إلى الرّيـاضيات الّتي يعـد فيهـا علم الأعـداد كركيـزة أساسيّـة.

في هـذا الإطـار يقسّـم الفـارابي الرّيـاضيات إلى سبعـة فـروع : الأعـداد "L'arithmétique" الـهندسة "Géométrie" علـم الـمنظورات "La science des perspectives"، علـم الفلـك "L'astronomie" (على نقيـض علم النّجـوم Par opposition à l'astrologie) الـموسيقى الديناميكـا وعلـم الآلـة "La mécanique" وعلـم الجبـر.

يعتبـر الفـارابي إذن أنّ البـدء في التّعليـم يـجب أن يكـون باللّغـة، ثـم" المنطـق وبعدهـا علـم الأعـداد لأن الأعـداد والأحجـام لا تقبـل الغمـوض وإن" نظامهـا الـمتكتمـل هـو الـذي يوحـدها.

---

[145] أنظر رنيه تاتون ص. 263

إنّ أنـموذج الدّقـة والـوضوح هي الّتي تكـوّن ذهـن طـالب العلـم وتطـوّر مـواهبه.

تـأتي الهندسة بعد علـم الأعـداد، وتتـأسّس على البـراهين، الّتي "تعطينـا معرفـة كاملـة متخلّصـة من كلّ شـكّ". ويـأتي بعد ذلك علـم الـمناظر – علم الفلـك – علم الـموسيقى الديناميكا والميكانيكـا – ثـمّ العلـوم الطبيعيّـة الّـتي لـها الـمادّة كموضـوع، ثـمّ تـأتي بعد ذلك العلـوم الإلـهيّة (أو الميتـافزيقـا)، ثـمّ العلـوم السياسيـة، الـتي تشمـل الفقـه وعلم الكـلام.

إذا نستنتـج أن برنـامج التّعليـم الـذي تصـوره الفـارابي يـحمل مجموعـة من العلـوم الـمترتّبة، علم اللّغـة، علم الـمنطق، علم التّعاليـم ثـمّ العلـوم الطّبيعـة، ثم الإلهيّـات ثـمّ العلم الـمدني – الفقـه – علـم الكـلام.

وقـد ذكـر الفـارابي في بعـض نصوصـه الفلسفيّـة (مثـال "مـا ينبغي أن يقـدّم قبـل تعلّـم الفلسفـة، الـمسائل الفلسفيّـة والأجوبـة عنهـا"..) بعـض "أفكـار نفسيـة بيداغـوجية Idées Psycho-pédagogiques" في تعـامل أو عـلاقة بين الـمعلّم والـمتعلّم قـائلا :

"و إمـا قيـاس الـمعلم فينبغـي ألا يظهـر تسلطـا شديـدا أو تـواضعـا مفـرطا، فإن التّسلـط الشّديـد يدعـو الـمتعلّم إلى بعضـه لعملـه وما يأخـذه من

المعلّـم بالتـواضع الـمفرط يدعـو الـمتعلّم إلى بعضـه لعملـه وما يأخـذه من المعلـم بالتـواضع المفـرط يدعـوه إلى الإستخفـاف به والتكـاسل عنـه وعن عملـه"[146].

وقـد سئـل عن الحفـظ والفهـم أيّهمـا أفضل ؟

فقـال الفهـم أفضـل من الحفـظ وذلك أنّ الحفـظ فعلـه إنّـما يكـون في الألفـاظ أكثـر وذلك في الـجزئيّات والأشخـاص وهـذه أمـور لا تكـاد تتنـاهى ولا هي تـجرى وتغـني لا بأشخـاصهـا ولا بأنـواعها والسّـاعي فيهـا لا ينـاهي كباطـل السّعي، والفهـم فعلـه في الـمعاني والكليـات والقـوانين وهذه أمـور مـحدودة متنـاهية وواحـدة للجميـع ...[147]

من هنـا وبشكـل متـواز، وإنطـلاقا من الـمعرفة، يـرسم الفـارابي آدابـا للفـرد وسياسـة للمدينـة : كيف ينجـح الإنسـان ؟

كيف يقـوم بعملـه على الوجـه الأكمـل ؟

كيف يحقّـق الكمـال في السّلـوك ؟ ومـا إلى ذلك من قـواعد ومثـل وكيفيّـات، هي غـرض التّـربية أيضـا عنـد الفـارابي.

---

[146] أنظـر كتـاب : مـا ينبغـي أن يقـدّم قبـل تعلّـم الفلسفـة.

[147] أنظـر : "الـمسائل الفلسفيّـة والأجوبـة عنهـا ص 92.

2 – الـجانب الأخـلاقي والسّيـاسي :

لقـد إهتـمّ دارسـو سياسـة الفـارابي بالتّـوقف عنـد معالـجته للمدينـة الفاضلـة وما حـول ذلك مـن إجتماعيّـات، ومبـاحث في الخـلافـة... وخطـأ ذلك إسقـاط الـمعنى الحـديث، الـمعنى الغـربي، للسّيـاسة، على مفهـومها القديـم أو تـراثي.

فالسّياسـة بالـمعنى التـراثي، تشمـل التـعليمات وسياسـة الأمـة وسياسـة المنـزل. وهي تشمـل معـا النـظر والفعـل في تلـك الـميادين، الجمـاعي منهـا ونشاطـات الإنسـان الفرديـة والعائليـة والإجتماعيـّة [148].

وبـهذا فالسّياسـة كانت تطـال التّـأدّب، والأخـلاق، والـدّين بشعـائره ومعتقداتـه، والعـلائق العـائليّة والإقتصاديـّة والإجتماعيّـة، والإمـامة من حيـث تكـوّنها ووظائفهـا وانتقـالها وأنواعهـا[149] وفي جـميع الأحـوال فـإن الفـارابي يـرى أن أول ما يـجب تعليمـه هو الأخـلاق، فـالأخـلاق غايـة كل تعلـم

---

[148] علـي زيعـور، الـحكمة العمليّـة في الفكـر العـربي الإسـلامي، محرصة التعاملية والسياسية الفاضلة عنـد الفـارابي، مـن مـجلّة الفكـر العـربي، العـدد الثّـاني والعشـرون، السّنـة الثّـالثة سبتمبـر– أكتوبـر 1981 م، ص 294.

[149] أنظـر: طـاس كبـرى زادة، مفتـاح السّعـادة، القـاهرة 1968 ج 1، ص 401 – 415.

وتـــاج كـــل تحصيـــل وطلـــب، لأن "من لـــم يصلـــح أخـــلاق نفســـه لم يـــمكنه أن يتعلـــم علمـــا صحيحـــا"[150]

ويقـــول أيضـــا في الشّـــروط الّـــتي يـــجب أن تتـــوفّر عند المعلـــم : "وأمـــا الحـــال التي يـــجب أن يكـــون عليهـــا الرّجـــل الّـــذي يؤخـــذ عنـــه علـــم أرسطو فهي أن يكـــون في نفســـه ما قـــد تقـــدم وأصلـــح الأخـــلاق من نفســـه الشهـــوانية كما تكـــون شهوتـــه للحـــق فقـــط لا للـــذة..."[151]

و إذا إتّفقنـــا على أن قـــول الفـــارابي في الـــرئيس هو قـــول أهـــل التّعليـــم مثـــلا فإنّ الكـــلام في "خصـــال رئيـــس الـــمدينة الفـــاضلة يصبـــح بذلك نافعـــا لفهـــم الكـــلام في "خصـــال الـــمعلّم الفـــاضل"[152]، والقـــول في "العضـــو الـــرئيسي" ينفعنـــا عند الانتقـــال للقـــول في الـــمعلم، حيث يـــرى الفـــارابي أن من خصـــال رئيـــس الـــمدينة الفـــاضلة مثـــلا : "أن يكـــون محبـــا للتعليـــم والاستفـــادة منقـــادا له، سهـــل القبـــول، لا يؤلـــمه تعـــب التعليـــم ولا يـــؤذيـــه الكـــد الـــذي ينـــال منه"[153].

150

151 الفـــارابي، آراء أهـــل الـــمدنية الفاضلـــة، نشـــرة نـــادر، بيـــروت ط 1 ص 105 – 108.

152 ن. م. ص 99 – 104

153 ن. م. ص 106.

إن السّياســة الفــارابيّة هي إهتمــام بالإنســان من حيث هو كــائن يــحيا في مجتمــع ويقــوم بنشاطــات، ويقيــم علاقــات، ويبني سلطــة. فهكــذا فإن السياسة لا تكــون دون نظــر فلسفــي، لا تكــون دون فلسفــة أو، على الأقــل، دون معــارف منسقــة ومفيــدة[154]. إنّ غايــة الــمعرفة أيضــا الفضيلــة، فالــمدينة الفــاضلة هي الــمدينة التي تسيــر فيهــا الأمــور، بصــورة خيــرة، وسعيــدة، حيث لا مــجال فيهــا ســوى للفضــائل، وحيــث الأفــراد يشكّلــون مجتمعــا واحــدا متماسكــا. فــإذا لــم تتــوفّر هــذه "الــمدينة" بطلــت عنهــا صفــة الأفضليّــة وأصبحــت جاهلــة لا تطمــح إلى السّعــادة..."[155]

يــجب أن نعتــرف بــأهميّة مفهــوم التّــربية في نســق الــمعارف الّتي قدّمهــا الــمعلّم الثّــاني في مــجمل آثــاره. كمــا أنّ حــاجتنا ملحّــة اليــوم لتحــديد مفهــوما للتّــربية يتــلاءم مع روح العصــر ويــحترم الإنســان في جــميع أبعــاده.

فكــلّ نســق للعلــوم لــه بعد معــرفي إبيستمــولوجي وبعــد بيداغــوجي ولا يــمكن أن نحلّــل ناحيــة ونــهمل الأخــرى.

---

[154] علي زيعــور، م.س.

[155] وليــد فستــق، السّيــاسة في الفلسفــة الإسلاميّــة، الفكــر السّيــاسي عنــد الفــارابي، مجلّــة الفكــر العــربي المعاصــر العــدد 14 – 15 جــوان – جويليــة 1981

كـذلك، إنّ الإنسـان الّـذي يدعـو إليـه الفـارابي هـو الـمالك للعلـم والتّـربية معـا، وهو السّبيـل إلى تـحقيق سعادتـه. فـالسّعادة تفتـرض هـذين الشّـرطين فمحـور فلسفـة الفـارابي البحـث عن السّعـادة والسّعـادة، لا تكـون إلاّ بالتّـربية.

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تطور مفهوم العلم عند الفارابي من خلال كتابه إحصاء العلوم
المؤلف الرئيسي:	ربيعو، بشير محسن
مؤلفين آخرين:	عزوز، رضا(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2002
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 101
رقم MD:	927005
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	العلم، كتاب: إحصاء العلوم، الفارابى، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، ت. 339 هـ.، العلوم عند العرب، التراث العربي، التراجم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/927005

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجمهورية التونسيّة
وزارة التّعليم العالي
والبحث العلمي والتكنولوجيا
جامعة الزّيتونة
المعهد الأعلى لأصول الدّين

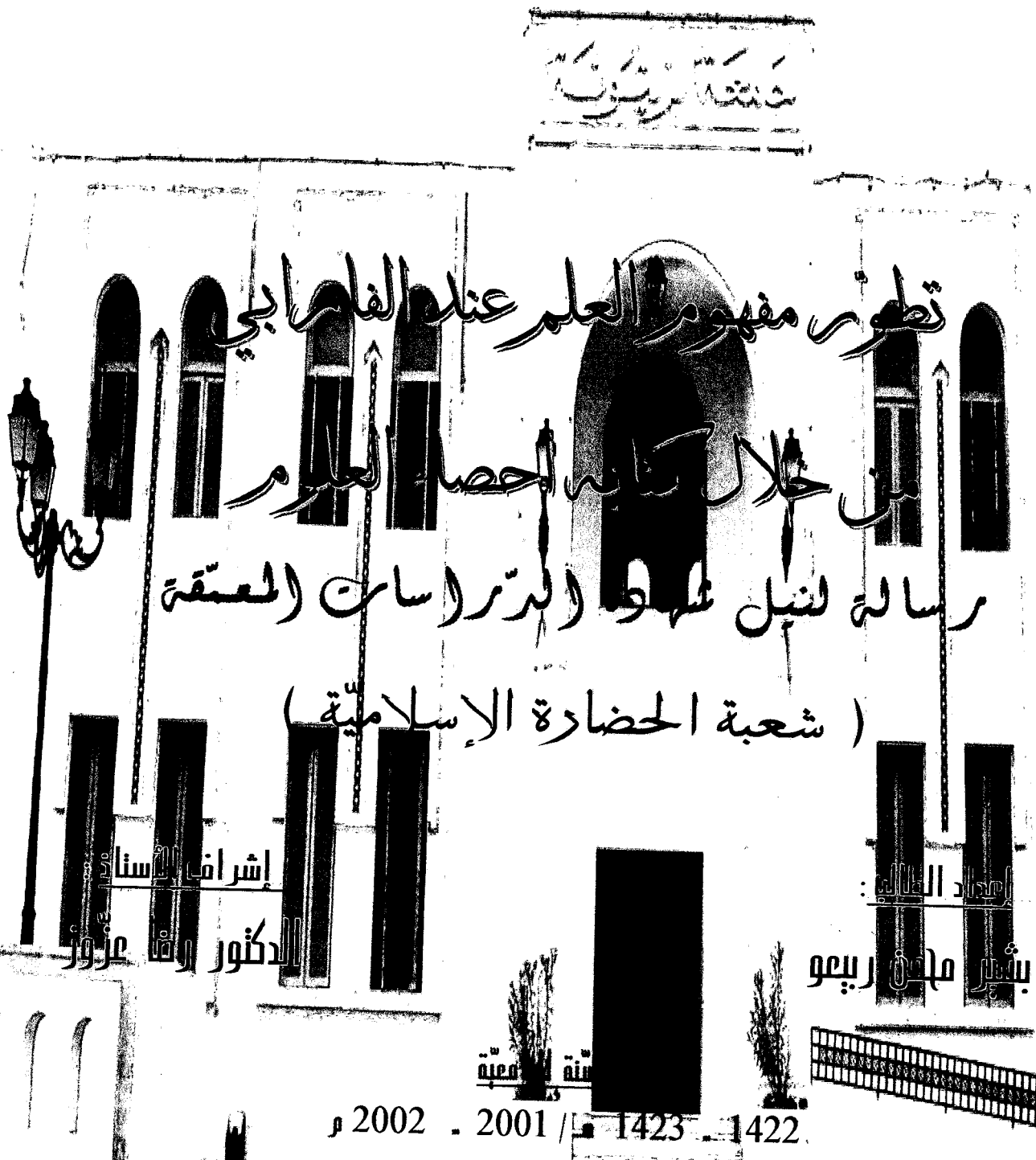

تطوّر مفهوم العلم عند الفارابي
من خلال كتابه احصاء العلوم

رسالة لنيل شهادة الدّراسات المعمّقة

(شعبة الحضارة الإسلاميّة)

إعداد الطالبة :
بشير ماجن ربيعو

إشراف الأستاذ :
الدكتور رفيق عزوز

السّنة الجامعيّة

1422 - 1423 هـ / 2001 - 2002 م

الإهـــــداء

إلى والـــديّ العـــزيزيـــن : بشيـــر عبـــده و فـــاطمـــة بنت زبيّـــر،

الّـــذين ســـاعداني في كلّ مراحلـــي العلميّـــة و الحياتيّـــة.

إلى عـــائلة عثمـــان غـــاوري

إلى روح المـــرحومة الحـــاجة فـــاطي

إلى روح المـــرحومة الأخت نفيســـة

إلى إخوتي وأخـــواتي الأعـــزّاء و إلى كلّ أحبّـــاء العلـــم والمعرفـــة.

الفهـــــرس

الصفحـة

المقدّمـة 01

* الفـارابي في سطـور 10

* كتـاب إحصـاء الـعلوم 13

البـاب الأوّل : مفهـوم الـعلم و مفهـوم الصّنـاعة عنـد أرسطـو ....

الفصـل الأوّل : مفهـوم الـعلم و مفهـوم الصّنـاعة عنـد أرسطـو .. 15

الفصـل الثّـاني : تقسيـم الـعلوم عنـد أرسطـو 37

البـاب الثّـاني: مقـارنـة بيـن تقسيـم أرسطـو وتقسيـم الفـارابي للـعلوم .....

الفصـل الأوّل : تقسيـم الـعلوم عنـد الفـارابي و دلالاتـه 43

الفصـل الثّـاني : مقـارنـة بيـن التقسيـمين أرسطـو و الفـارابي 50

البـاب الثّـالث : تطـوّر مفهـوم الـعلم عنـد الفـارابي .....

الفصـل الأوّل : تطـوّر مفهـوم الـعلم عنـد الفـارابي 56

الفصـل الثّـاني : مفهـوم التّـربيـة عنـد الفـارابي 83

* نتـائـج الـبحث 98

* خـاتـمة 101

الفهـــارس

فهـــرس الإعـلام

فهـــرس الـمصادر والـمراجع

الـــرموز الـــمستعملـــة

ص : صفحـــة.

هـ : إشـــارة إلى السّنـــة الـــهجرية.

م : الإشـــارة إلى السّنـــة الميلادية إذا كان بعد الـــرّقم وإلى الـــمجلّد إذا كان قبل الـــرقم.

ط : الطّبعـــة.

ج : الجـــزء.

ت : تـــوفّي.

د.ت : إختصـــار لعبـــارة دون تـــاريخ.

م.س : الـــمرجع أو الـــمصدر السّـــابق.

م.ن : نفـــس. الـــمصدر أو الـــمرجع.

بســـم الله الرّحمـــان الـــرّحيم

الـــمقدّمـــــــة

يصطـــدم تـــدريس العلـــوم في الحضـــارة الإســـلاميّة بالتّـــعارض الـــموجود بين العلـــوم الشّـــرعيّة والعلـــوم العقليّـــة مع مـــا يتبـــع ذلك من نفـــور من العلـــوم العقليّـــة بـــإعتبارهـــا علومـــا دخيلـــة.

وقـــد أدّى هـــذا الـــوضع إلى تغليـــب العلـــوم الشّـــرعيّة على العلـــوم العقليّـــة وفـــرض سيطـــرة للعلـــوم الشّـــرعيّة على العلـــوم العقليّـــة.

ولـــهذا كان من الضّـــروري إعـــادة الإنسجـــام في الـــموسوعة العلميّـــة الإســـلاميّة بإيـــجاد تـــجانس بين العلـــوم الشّـــرعيّة والعلـــوم العقليّـــة وهـــذا لا يـــمكن إلاّ بإعـــادة النّظـــر في مفهـــوم العلـــم العقلـــي والعلـــم الشّـــرعيّ.

وقـــد إستطـــاع الفـــارابي أن يتجـــاوز الـــمفهوم اليـــوناني للعلـــم بالـــرّبط بين الصّنـــاعة والعلـــم وأن يـــجعل للعلـــوم الشّـــرعية بعـــدا كليّـــا يـــجعلها تنسجـــم مع العلـــوم العقليّـــة.

ففي كتابـــه إحصـــاء العلـــوم[1] يعـــرض الفـــارابي مفهومـــا جديـــدا للعلـــم يتجـــاوز الـــمفهوم الأرسطـــي الّـــذي يفصـــل بين العلـــم والفـــنّ. فالعلـــم في نظـــر أرسطـــو معـــرفة بـــرهانيّة تـــختلف عن الفـــنّ الّـــذي يهـــدف إلى الإنتـــاج[2].

ويظهـــر هذا الـــمفهوم الـــجديد من خـــلال تـــحليله لكثيـــر من العلـــوم مثـــل علـــم الـــمنطق والعلـــوم الرّيـــاضيّة (الـــجبر والـــهندسة)، كمـــا أنّـــه يقـــدّم تصـــوّرا جديـــدا للعلـــوم الشّـــرعيّة مثل علـــم الفقـــه وعلـــم الكـــلام.

فالفـــارابي قد أوجـــد تـــجانسا بين العلـــوم وتـــجاوز التّعـــارض بين العلـــوم العقليّـــة والعلـــوم الشّـــرعيّة. وبذلـــك فالـــمعرفة العلميّـــة متجـــانسة أســـاسها الـــحجّة والـــمنطق ولكنّهـــا غيـــر متســـاوية من حيث القيمـــة وبـــهذه الصّـــورة فإنّـــه حـــرّر الـــمعرفة العلميّـــة من سلطـــة الدّيـــن وجعلهـــا معرفـــة مستقلّـــة.

إنّ البحـــث في إحصـــاء العلـــوم عند الفـــارابي يـــمكّننا أيضا من تـــحديد مفهـــوم جديـــد للتّـــربية يقـــوم على إيـــجاد تنـــاسق بين العلـــوم الشّـــريعيّة والعقليّـــة أساســـه إعتمـــاد الـــحجّة وتـــحرير الفكـــر من كلّ وصايـــة حتّى يســـاهم في بنـــاء حضـــاري يـــؤكّد حريّـــة الإنســـان وتوقـــه إلى معرفـــة الـــحقيقة.

---

[1] الفـــارابي : إحصـــاء العلـــوم، طبـــع عثمـــان أمـــين (مكتبـــة الـــخانـــجي، القـــاهرة، 1931).

[2] كتـــاب الـــميتافزيـــقا كتـــاب A.

فالكمـال الإنسـاني يكـون بربـط الـحريّة بالعلـم. ولا يـخفى ما لـهذا الـمفهوم من تـجديد في تصّـور الـمعرفة العلميّـة في الـحضارة الإسـلاميّة.

من الأسبـاب الّـتي دفعتنـي إلى دراسـة موضـوع "تطـوّر مفهـوم العلـم عنـد الفـارابي من خـلال كتابـه "إحصـاء العلـوم".

أوّلا : أسبـابه تـاريـخيّة و علميّـة :

كتب كتـاب الفـارابي "إحصـاء العلـوم" في بدايـة القـرن الـرّابع الـهجري، وإحصـاء العلـوم الّـذي قدّمـه الفـارابي لنـا، يعكـس جـملة العلـوم الّـتي كانت معـروفة لدى مفكّـري الإسـلام، كمـا يعكـس من جهـة أخـرى وجهـة النّظـر الّـتي كان الفـارابي يكوّنـها عن نسـق الـمعارف السّـائد في عصـره.

ولقـد تـوالت الـمحاولات في القـرن الـرّابع الـهجري بالـخصوص مـمّا يـدلّ على أن هـذا القـرن كان فتـرة إزدهـار للمعـارف الـمختلفة في الـحضارة العـربيّة الإسـلاميّة، فـلا يـمكن أن نتصـوّر إهتمـاما بـإحصاء العلـوم وتـرتيبها لو لـم يكـن هنالـك نـموّ لـهذه العلـوم يـدفع إلى البحـث في ماهيّـة كلّ منهـا وفي العـلاقات القـائمة بينهـا.

فمتابعـة هـذا الإحصـاء للعلـوم يتيـح مثـلا لـمؤرّخ العلـوم التّعـرّف على النّسـق الّـذي كانت عليه الـمعارف في ذلك الـوقت[3].

ثـانيا : سبـب إبستيمـولوجي :

إنّ المعـرفة العلميّـة تـمثل وحـدة متكاملـة والتّفـاعل بين أجزائهـا يـؤدّي إلى تطـورّها فـلا قطيعـة بين العلـوم الشّـرعيّة والعلـوم العقليّـة.

ثـالثا : سبـب حضـاري :

مفـاده أنّ الـحضارة العـربيّة الإسـلاميّة منـذ عصـور إزدهـارها كانت تـحمل روح الإنفتـاح والتّسـامح والـحوار بين الـحضارات، فهي لـم تقتصـر على نقـل مـا هو موجـود في الـحضارة اليـونانيّـة بل نقدتـه وقد كـان مفهـوم العلـم عند الفـارابي أبلـغ مثـال لذلـك.

يـمكن أن نتسـاءل هـل الإحصـاء تنظيـم للعلـوم القائمـة إذا كـان هدفـه تـجاوز التّعـارض بين العلـوم العقليّـة والشّـرعيّة ؟

وما هـو الـمفهوم الجديـد للعلـم الّـذي يتضمّنـه هـذا الإحصـاء ومـاهي نتـائجه على الـموسوعة العلميّـة ؟

---

[3] مـحمّد وقيـدي :"الـمبادئ الـمعرفيّة والـخلفيّات الفيلسفيّـة للتّصنيفـات العـربيّة الإسـلاميّة للعلـوم ص 90.

إنّ الأطـروحة الّـتي أريـد أن أدافـع عنهـا هي أنّ الإحصـاء ليـس مـجرّد تنظيـم للعلـوم القـائمة وليس إنعكاسـا للتّقسيـم الأرسطـي للعلـوم وإنّـما هو تعبيـر عن مفهـوم جديـد للعلـم سيساهـم في إثـراء الـموسوعة العلميّـة عند المسلميـن وسيكـون أسـاس فلسفـة للتّـربية غـايتها إسعـاد الإنســان.

1 – إعتمـدت في هـذه الـدّراسة الـمنهج القـائم على البحـث والتّحـرّي الّـذي يهـدف إلي الوصـول إلي نتائـج موضـوعيّة قائمـة على الدّليـل، ويتمثّـل ذلك في الـمنهج التّحليلـي النّقـدي الـمقارن، وذلك حسـب مـا تقتضيـه طبيعـة الـموضوع.

2 – حـاولت الإعتمـاد على الـمصادر الأصليّـة، وخـاصّة كتـاب "إحصـاء العلـوم" الّـذي هـو موضـوع إهتمـامنا في هـذا البحـث.

3 – بالنّسبـة إلى الإستشهـادات : أوثـق الأقـوال بنقـل النّصـوص من كـلام أصحابـها، مقتصـرا على مـحمل الشّاهـد، ووضـع الـمنقول حرفيّـا بيـن قوسيـن، مشيـرا إلى الـمصدر في الـهامش، وذكـر الصّفحـة والـجزء، مع الإحـالة إلى مـا إطّلعـت عليه من مصـادر أخـرى توضّـح الـمعنى في بعـض الأحيـان و أحيانـا أتصـرّف في النّصـوص من كـلام أصحابـها.

4 – في توثيـق الـمصادر والـمراجع، أذكـر في أوّل مـرّة إسـم الكـاتب، ثـمّ إسـم الكتـاب، ثـمّ أذكـر رقـم الـجزء والصّفحـة، ثـمّ بعد ذلـك أكتـب إسـم الكـاتب فقـط مـع الـجزء والصّفحـة.

وقـد لا ألتـزم التّـرتيب الـزّمني للمصـادر في الـهامش.

5 – ذكـرت خـلاصة موجـزة في آخـر كلّ فصـل متى أمكـن لي ذلك.

6 – قـد إعتمدنـا أساسـا في إنـجاز هـذا البحـث على الـمصادر العـربيّة وعلى مـا كتبـه الـمؤرّخون وشـرّاح الفلسفـة اليونانيّـة والإسـلاميّة من العـرب وغيـرهم.

وقـد رصدنـا بعـض الصّعـوبات نلخّصهـا كـآلاتي :

أ – قلّـة الـمصادر والـمراجع الّـتي تتعلّـق بدراسـة تطـوّر مفهـوم العلـم عند الفـارابي من خـلال كتـاب "إحصـاء العلـوم".

ب – وقـــد لاحظنـــا أنّ بعـــض الشّـــراح يكـــرّرون نفـــس الأفكـــار، ولا يـــختلفون إلاّ في الأسلـــوب[4].

ج – قد واجهنـــا أيضـــا صعوبـــات تتعلّـــق بالتّرجـــمة خـــاصّة من النّصـــوص القـــديـــمة وبالتّحديـــد في الـــدّراسات الـــمتعلّقة بأرسطـــو[5].

د– لا بـــدّ من الإعتـــراف بأنّ باحثـــا متخصّصـــا في الـــحضارة الإســـلاميّة سيواجـــه صعوبـــات معتبـــرة عندمـــا يتعلّـــق الأمـــر بالنّصـــوص الفلسفيّـــة ذات الأصـــول اليـــونانيّـــة لـــما تتطلّبـــه من دقّـــة وصرامـــة وتـــحليل.

خطّـــة البـــحث :

إشتمـــل البحـــث على مقدّمـــة وثـــلاثـــة أبـــواب وخاتـــمة :

– أما الـــمقدّمة، فأوضحـــت فيهـــا أهميّـــة و أهـــداف الـــموضوع، ودواعـــي إختيـــاري لـــه، وإشكاليّـــة البحـــث، والصّعـــوبات ومنهـــج البحـــث، ثـــمّ خطّـــة البحـــث.

البـــاب الأوّل الّـــذي يـــأتي مبـــاشرة بعد الـــمقدّمة، فينقســـم إلى فصليـــن :

---

[4] نـــذكر في هـــذا الـــمقام مـــا ألّفـــه علي أبـــو ريّـــان في" تصنيـــف العلـــوم بين الفـــارابي و إبن خلـــدون" ويـــونس أحـــمد الـــخروف في : "تصنيـــف الفـــارابي وإبن خـــلدون للـــمعرفة البـــشريّة" دراســـة مقـــارنة.

[5] أنظـــر في هذا الشـــأن مثـــال ترجـــمتنا لنـــصّ Granger في صفحـــة 21 لـــهذا البحـــث الفقرة الأخيرة

- الفصـــل الأوّل : وتنـــاولت فيه دراســـة مفهـــوم العلـــم ومفهـــوم الصّنـــاعة عند أرسطـــو.

- الفصـــل الثّـــاني : وتطـــرّقت فيـــه إلى تقسيـــم العلـــوم عنـــد أرسطـــو.

البـــاب الثّـــاني : ينقســـم هـــذا البـــاب، بدوره، إلى فصليـــن :

- الفصـــل الأوّل : خصّصتـــه لتقسيـــم العلـــوم عند الفـــارابي ودلالاتـــه.

- الفصـــل الثّـــاني : تناولت فيـــه مقـــارنة بين التّقسيميـــن (الأرسطـــي والفـــارابي).

البـــاب الثّـــالث : وينقســـم إلى فصليـــن :

- الفصـــل الأوّل : تنـــاولت فيـــه دراســـة تطـــوّر مفهـــوم العلـــم عنـــد الفـــارابي.

- الفصـــل الثّـــاني : وهو الفصـــل الأخيـــر. حاولـــت فيـــه تقديـــم مفهـــوم جديـــد للتّـــربية عند الفـــارابي ثـــمّ الـــخاتـــمة والفهـــارس.

الفارابي في سطور[6]

هو أبو نصر محمّد بن محمّد بن طرخان بن اوزلغ الملقّب بالفارابي، ولد حوالي سنة (259 هـ/870م)[7] في مدينة وسيّج من منطقة الفاراب الّتي كانت مدينة فاراب قصبتها فنسب إلى المنطقة.

---

[6] ترجم له كلّ من البيهقيّ في "تاريخ الحكماء الإسلام"، دمشق، 1946، ص 30، وصاعد الأندلسي، في "طبقات الأمم" ص 283، والقفطيّ في "أخبار العلماء في أخبار الحكماء"، مطبعة السّعادة، 1908، ص 182، وابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، دار الثّقافة بيروت، لبنان، ص 603. وابن خلكان في "وفيّات الأعيان في طبقات الأطبّاء"، دار الثّقافة بيروت، لبنان، ج 2 ص 76، وطاش كبرى زاده في "مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة"، القاهرة، 1968، ج 1 ص 359، وكارادوفو وولزر في "دائرة معارف الإسلام في طبعتيها الأولى والثّانية"، كما عرض عثمان محمّد أمين حياته في مقدّمة "إحصاء العلوم" ص 19.

[7] الآراء مختلفة ومتضاربة حول تاريخ ومكان ولادة الفارابي حيث يرى ابن نديم أنّ مولده في فاريات الفرسانيّة، ويقول أكثر مؤرّخيه أنّه ولد ونشأ في فاراب، ولكنّهم يختلفون فيها فيزعم ابن خلكان أنّها في بلاد التّرك وكانت تسمّى أطرار وقد ذكر أنّ ولادته كانت في سنة 260 هـ الخ ... ويرى الآخرون أنّ فاراب تقع في بلاد فارس وهكذا يتأرجح نسبه بين التّركي والفارسي (أنظر الدّكتور مصطفى غالب : "الفارابي"، في سبيل موسوعة فلسفيّة ج 1 دار ومكتبة الهلال بيروت سنة 1986، ص 11).

في مدينتـــه الصّغيـــرة هـــذه، تعلّـــم العـــربيّة والتّـــركيّة والفـــارسيّة، وشـــدا شيئـــا من العلـــوم الإســـلاميّة، ونـــال قسطـــا من الـــدّراسات العـــالية الأولى [8]، ثـــمّ أتيـــح له أن يـــرحل إلى بغـــداد، مع أبيـــه الّـــذي كان "قـــائد جيـــش في جـــملة جيـــوش الـــخليفة" [9].

وهنـــالك (يعنـــي بغـــداد) درس الفـــارابي على أكبـــر العلمـــاء، وعلى متـــرجمي الآثـــار اليونـــانيّة. ولقـــد ذكـــر من أســـاتذته يوحنـــا بن حيـــلان (الـــمتوفّ سنـــة 295 هـــ - 917 م) وأبـــو بشـــر متي بن يونـــس (الـــمتوفّى سنـــة 328 هـــ - 939 م) في بغـــداد الّـــتي دخلهـــا حـــوالي السّنـــة (310 هـــ - 922 م)[10] وتركهـــا في السّنـــة (330 هـــ - 941 م)، كانت مرحلـــة الـــدّراسة العميقـــة الـــموسوعيّة، والإنتـــاج الـــخصب "إنّـــه لـــم ينتسب إلى مـــجتمع البـــلاط ولا إلى طبقـــة الكتـــاب والـــوزراء" [11] بل إنصـــرف إلى الـــدّراسة و إلى تـــأليف كتبـــه الّـــتي روى أنّـــه ألّـــف أكثـــرها في بغـــداد.

---

[8] سعيـــد زيـــد، الفـــارابي، القـــاهرة، 1972، ص : 14-15.

[9] ابن أبـــي أصيبعـــة، م.س.ص : 603.

[10] لـــم تذكـــر الـــمصادر السّنـــة على وجـــه التّـــأكيد، ولكـــن عبّـــاس مـــحمود مـــثلا في كتابـــه عـــن الفـــارابي (ص 19 ومـــا بعد) استطـــاع أن يستخلصهـــا إستخلاصـــا منطقيّـــا.

[11] ابن أبـــي أصيبعـــة، م.س.ص : 603.

ثـمّ تـرك العاصمـة الكبيـرة، الّـتي كانت الأحـوال فيهـا آنـذاك مضطربـة اشـدّ الإضطـراب [12] وذهـب إلى حلـب ملبّيـا دعـوى أميـرها سيـف الدّولـة الـحمداني، وهنـا في هـذه الـمدينة، ثـمّ في دمشـق، قضـى السّنـوات الأخيـرة من حياتـه، زهـدا، قـانعا من دنيـا بدريهمـات أربـع مـمّا كان يعطيـه سيـف الـدّولة[13]، حتّى أنّـهم رووا أنّـه عمـل ناطـورا لبستـان قـرب دمشـق، الّـتي مـات فيهـا سنـة (339 هـ -950 م) ولقـد دفـن في مقبـرة البـاب الصغيـر، بعـد أن صلىّ عليـه سيـف الدّولـة (متزيّنـا بـزيّ الصّوفيّـة، وهـو زيّ الفـارابي) في خـمسة عشـر رجـلا من خاصّتـه.

هـذه هي حيـاة الفـارابي، عرضناهـا كما وردت في كتـب التّـراجم، وهي كمـا نـلاحظ موجـزة أشـدّ الإيـجاز.

---

[12] ابن خلكان م.س.ص 76

[13] طاش كبرى زاده:م.س.ج1 ص260

كتـــاب "إحصـــاء العلـــوم"

مـــا قدّمنـــاه حتّى الآن – على أهمّيتـــه – لا يـــحلّ الفـــارابي الـــمكانة الّـــتي يـــحتلّها في تـــاريخ العلـــوم عند العـــرب، لو لـــم يتـــرك لنـــا كتابـــه إلـــهام (إحصـــاء العلـــوم)، الّـــذي يعتبـــر من أهـــمّ كتبـــه، إن لـــم يكـــن أهمّهـــا على الإطـــلاق، "إنّـــه أشبـــه بدائـــرة الـــمعارف" [14]، وصفـــه بـــهذا الـــوصف – مـــع شيء مـــن مبالغـــة الإعجـــاب، كلّ من كـــازيري وبـــروكلمـــان وغيـــرهما ...

ولتفسيـــر قيمـــة "إحصـــاء العلـــوم" يـــمكن أن نـــذكر ثـــلاثة أسبـــاب :

– السّبـــب الأوّل : كـــونه أوّل مـــا كتب بالعـــربيّة من هـــذا القبيـــل فـــلا يعـــرف مـــؤلّف عـــربي إنتهـــج هـــذا الـــمنهج قبلـــه"[15].

– السّبـــب الثّـــاني : إنّ الـــمكانة الّـــتي إحتلّهـــا لـــدى الـــمصنّفين العـــرب لقـــد إمتـــدحوه وعـــدّوه نافعـــا ضروريـــاً لـــجميع البـــاحثين والـــمشتغلين بالـــدّراسات والعلـــوم. قـــال أبـــو القـــاسم صاعـــد بن أحـــمد الأنـــدلسي الـــمتوفّى سنـــة (463 هـــ – 1070 م) عنـــد الكـــلام على الفـــارابي ومصنّفاتـــه

[14] عثمـــان مـــحمّد أميـــن : م.س ص 4.

[15] ن. م : ص 6.

:"ولـــه بعـــد هـــذا كتـــاب شريـــف في إحصـــاء العلـــوم، والتّعـــريف بأغـــراضها، لـــم يسبـــق إليـــه ولا ذهـــب أحـــد مذهبـــه فيـــه، ولا يستغنـــى طـــلاّب العلـــوم عن الإهتـــداء بـــه، وتقديـــم النّظـــر فيـــه"[16].

– السّبـــب الثّـــالث : الـــمكانة الّـــتي أحتلّهـــا في الغـــرب.

لقـــد ترجـــم إلى الـــلاّتينيّة عـــدّة مـــرّات : ترجـــمة يوحنّـــا الإسبـــاني أو الإشبيلـــيّ Jean de seville (الـــمتوفّى سنـــة 1157 م) وجيـــرار الكريـــموني Gérard de Cermone (الـــمتوفّى سنـــة 1187) وأدمـــج دومنيكـــوس كوندســـاليـــوس (الـــمتوفّى سنـــة 1150) الكتـــاب بنصّـــه في كتابـــه (تقسيـــم الفلسفـــة)[17] كمـــا تـــرجم فـــارمر Farmer بـــاب الـــموسيقى من الكتـــاب إلى الإنكليـــزيّـــة بعد مقارنـــة النّصـــوص اللاّتينيّـــة والعـــربيّة الـــمخطوطـــة ثـــمّ نشـــرة عـــام 1931 [18].

---

[16] صـــاعد الأنـــدلسي : م.س.ص ص 84.

[17] أنظـــر فريـــد جحـــا : م.س.ص 119.

[18] إبـــراهيم مذكـــور م.س.ص ص 169 و 170، وعبّـــاس مـــحمود م.س. ص 61 و 62، وعثمـــان مـــحمّد أميـــن في مـــقدّمة إحصـــاء العلـــوم ص 16.

البـــــــاب الأوّل

الفصـــل الأوّل : مفهـــوم العلـــم ومفهـــوم الصّنـــاعة عنـــد أرسطـــو (322. ق. م) [19] :

لكي نعـــرف كيـــف أقـــام أرسطـــو منهجـــه الفلسفـــي يـــجب أن نتعـــرّض أوّلا إلى خطـــوط الأزمـــة الّـــتي إنتهـــى إليهـــا الفكـــر اليونـــاني بعد النّقـــد الـــهادم الّـــذي وجهـــه السفسطـــائيّون إلى العلـــم والـــمعرفة، فجعلـــوا من الـــمستحيل إقامـــة أيّ نـــوع من العلـــم أو الـــدّراسة حتّى إمكـــان التّفـــاهم بين الأفـــراد في شـــؤون الـــحياة [20].

لقـــد إتّـــجه الطّبيعيّـــون قبـــل سقـــراط Socrate .(399 ق. م) [21] إلى الـــواقع المـــحسوس وردوا الأشيـــاء إلى أصولـــها البسيطـــة أي إلى العنـــاصر الأوليّـــة الأربعـــة، مثـــل الـــماء والـــهواء والتّـــراب والنّـــار.

---

[19] Altman (Robert) encyclopédia unviersalis Paris, France 1996 Corpus 2 p.959.

[20] الـــدّكتور أبـــو ريّـــان مـــحمّد علي : تـــاريخ الفكـــر الفلسفـــي أرسطـــو والـــمدارس الإســـكندريّة، دار الـــمعرفة الـــجامعيّة، 1984 ط 3، ج 2، ص 25.

[21] أنظـــر : Alatman (Robert), ibid, Corpus 21, p 233.

وجـاء الأيليّـون فيمـا بعـد وأثـاروا الشّك في الـمعرفة الـحسيّة متـأثّرين في ذلك بالسفسطـائيّـين وهـرقليطـس، فـدلّلوا على أنّ الـمحسوس إنّـما يتضمّـن في ذاتـه صفـات متضـادّة، كالـحارّ والبـارد، والأبيـض والأسـود، فـلا تستطيـع أن تعبـر النّهـر الـواحد مـرّتين حسـب رأي هـرقليطس ...[22]

وإذن فقـد إنتهـى الـمطاف بالفكـر اليونـاني إلى الأزمـة الفكـريّة الخطيـرة سيكـون على سقـراط أن يـحاول الـخروج منهـا.

وسقـراط في حقيقـة أمـره كان ميّـالا بطبعـه إلى الأمـور الأخـلاقيّة ولذلك كانت منـاقشته تـدور حـول مسائـل أخـلاقيّة مثـلا : العـدالة، التّقـوى والشّجـاعة، العفّـة، والفضيلـة.

وأخيـرا فإنّ من طبيعـة الأمـور الأخـلاقيّة أنّـها تكـون متـداخلة فيمـا بينهـا فالكـلّ الأخـلاقي يشيـر إلى الأجـزاء، لا تنفصـل عن الكـلّ وبـمعنى آخـر فإنّ الكـلّ الأخـلاقي ليس كـلاّ مـجموعيّا تتـراصّ أجـزاؤه بـل هو كـلّ متـداخل مندمـج، وعلـى أسـاس هـذا التّصـوّر الـجديد للأمـور الأخـلاقية وضـع سقـراط منهجـه ...

[22] الدكتور أبو ريان محمد علي : م. س. ص 25

وكلّ فلسفـة تقـوم على هـذا التّصـوّر تتبـع نفس الـمنهج الّـذي إتبعـه سقـراط وتنتهـي إلى نتائـج كليّـة مثل موضوعـات الأخـلاق، وذلك مـا حقّقـه أفـلاطون إذ أنّـه نقـل الكلـيّ الأخـلاقيّ عند سقـراط وجعلـه أسـاسا لفلسفتـه الـمثاليّة، مـمّا أثـار كثيـرا من الصّعوبـات الّـتي سيـردّ أرسطـو عليهـا بالتّفصيـل في ثنـايا مـذهبه.

هذا هـو مـجمل الـموقف التّصـوّري الّـذي إنتهـى إليـه أرسطـو بعـد أن عاصـر فكـر أفـلاطون وتلقّـى تعـاليمه[23].

فكيف عـالج الـمعلّم الأوّل (يعنـي أرسطـو) مسـألة العلـم ومسـألة الصّنـاعة ؟

أ – مفهـــوم العلـم :

لقـد إتّسعـت فلسفـة أرسطـو لتشمـل نظريّـات دقيقـة وعميقـة في الـمعرفة بصفـة عـامّة وفي العلـم بصفـة خـاصّة، فبحـث في مسألـة العلـم وبيّن لنـا مـا هو العلـم، ومـاهيّته وكيـف يتحقّـق و مـاهي الأحـوال الّـتي يـجب فيهـا أن يتحقّـق، ومـا شـروطه، ومـا خصـائصه، ومـا الـمميّزات الّـتي تـحدّد طبيعـة العلـم ... الخ.

[23] أبـو ريّـان محمّد علي : م. س. ص 29.

فعنـد الـرّجوع إلى بعـض كتبـه الـهامّة مثـل كتـاب الـميتافيزيقا، كتـاب الأرغـانون، كتـاب الأخلاق ... الخ، نـجد أنّ أرسطـو قـد خصّـص العديـد من الصّفحـات يتحـدّث فيهـا عن الـمعرفة بصفـة عـامّة وعن العلـم بصفـة خـاصّة.

ويقـول في كتـاب الأخـلاق حـول طبيعـة العلـم : "وطبيعـة العلـم (لـو إستعملنـا هـذا اللّفـظ بـمعناه الدّقيـق، مهملين الـمعاني الـمنجرة عن مـجرّد الـمشابهة)، تصـدر بوضـوح عن الإعتبـارات التّـالية : نـحن نـدرك أنّ الأشيـاء الّـتي نعلمهـا لا يـمكن أن تكـون بـخلاف ما هي ... فمـوضوع العلـم يـوجد إذن بالضّـرورة، وهـو تبعـا لذلك سـرمدي ... يضـاف إلى ذلك أنّنـا نتصـوّر عـادة أنّ كل علـم يقبـل التّعلّـم، وأنّ موضـوع العلـم يـمكن أن يتعلّـم ... وهكـذا نـجد أنّ العلـم إستعـداد قـادر على أن يبـرهن [24].

ومـن هـذا تظهـر لنـا العـلاقة الّـتي تـربط بين العلـم والـمعرفة البـرهانيّة في مفهـوم أرسطـو للعلـم والّـتي سـوف نتحـدّث عنهـا بالتّفصيـل فيمـا بعد.

---

[24] أرسطـو طـاليس : الأخـلاق ، ترجـمة إسحـاق بـن حنيـن، حقّقـه وشـرح وقـدّم لـه، الدّكتـور عبـد الرّحـمان بـدوي وكالـة الـمطبوعـات ، الكـويت، الطّبعـة الأولى سنـة 1979 ص 211 –212.

وحتّى تتـوضّح لنـا مـاهيّة العلـم عنـد أرسطـو، فيجـب أن نعـرف "مـا ليس بعلـم" في تصـوّره .

أوّلا : يذهـب أرسطـو إلى أنّ الإحسـاس ليس العلـم، وإنّ الـمعرفة الـحسيّة تتميّـز تـماما عن الـمعرفة العلميّـة، فالأولى تتنـاول الأحـداث الـمحتملة الـوقوع في الـزّمان والـمكان، أمّـا الـمعرفة العلميّـة فتتنـاول الأشيـاء الّـتي هي خـارج الفضـاء، وخـارج الـزّمن [25].

ولـهذا السّبـب أنكـر أرسطـو الـحصول على العلـم بالبـرهان عن طريق الـحسّ، وذلك أن الـحسّ إنّـما يـدرك الأشخـاص المـحدودة الـوجود بالـزّمان والـمكان، و أمـّا العلـم بالبـرهان فإنّـما يكـون على الأمـر الكلـيّ وبالأمـر الكلـيّ والأمـر الكلّـي هو في كـلّ شخـص وفي كلّ زمـان [26].

إذن نـلاحظ هنـا أنّ الـمعنى الكليّ "هـو أسـاس الـحصول عل العلـم بالبـرهان ويـرر قـوله هـذا بـمثالين : أوّلـهما ريـاضي وثـانيهما فـريائي : ويقـول في الـمثال الأوّل : "ولـما كان هكـذا لـو أحسسنـا مثـلا من هـذا الـمثلّث أنّ زوايـاه مساويـة لقـائمتين لـما كان هـذا الإحسـاس هو الّـذي

---

[25] رنيـه تـاتون ص 263

[26] جيـرار جهـامي : ابن رشـد تلخيـص منطقـي أرسطـو، الـمجلّد الـخامس كتـاب الانـالوطيقـي الثّـاني أو كتـاب البـرهان، ص 445.

يفيدنـا أنّ زوايـا كلّ مثلّـث مسـاويّة لقـائمتين إذ كـان الإحسـاس إنّـما كان لـهذا الـمثلّث الـمشار إليـه الـجزئي والعلـم يكـون الـمثلّث الكلّي "[27].

أمّـا الـمثال الثّـاني فيقـول فيـه أرسطـو" ولـهذا السّبـب بعينـه لـو إتّفـق أنّ كنّـا فـوق مـوضع القمـر حتّى نشـاهد كسـوفه بقيـام الأرض بينـه وبيـن الشّمـس لـمّا كان يـحصل لنـا من هذه الـمشاهدة العلـم بالسّبـب في كسوفـه وذلك أنّ العلـم بالسّبـب إنّـما يـحصل من جهـة الأمـر الكلّـي والـحسّ لا يـدرك الكلّي ..."[28].

وهنـا فمن الضّـروري أن نـذكر مـا كان نقطـة الخـلاف بين بعـض الشّـراح والبـاحثين لفلسفـة أرسطـو، وموضـوع هـذا الخـلاف ليـس إلاّ مـا قـاله أرسطـو حـول عـدم الـحصول على العلـم الـحقيقيّ (أي العلـم بالبـرهان) عن طـريق الـحسّ "لأنّ الـحسّ لا يـدرك الكليّ ..." ثـمّ بعد ذلك يـرجع أرسطـو ويقـول أنّـه "من الـممكن أن يقـع لنـا الأمـر الكليّ عن طـريق الـحسّ "لأنّ الـحسّ وإن كان لا يـدرك الأمـر الكليّ فإنّ الكليّ إنّـما يـدركه العقـل من قبـل تكـرار الشّخـص على الـحسّ دفعـات كثيـرة حتّى

[27] جيـرار جهـامي : ص 445.

[28] ن. م : ص 445.

يـــجتمع من ذلك التّكـــرار في نفس الأمـــر الكليّ [29]. ويـــوضّح قولـــه هذا بـــمثالـــه الشّهيـــر ويقـــول "مثـــل مـــا يعـــرض في الـــجهاد عندمـــا يتحـــزّم الصّف بإنـــحزام الـــمجاهدين أن يعـــود واحـــد فيقـــف ثـــمّ ثان، ثـــمّ ثـــالث حتىّ يكمـــل الصّف، وهكـــذا حـــال الـــحدوس الكليّ عن الـــحسّ ...[30].

فيـــرى بعـــض العلمـــاء والبـــاحثين أنّ هذه الفكـــرة لـــم تكـــن واضحـــة عند أرسطـــو، وأكثـــر من ذلك يـــرى البعـــض الآخـــر أنّـــها متنـــاقضة.

لكن جـــمال الـــدّين العلـــوي مثـــلا قد قـــام بتـــأييد وتوضيـــح مـــا قـــاله أرسطـــو في كتابـــه نظـــريّات البـــرهان و دلالاتـــه "يقـــول العلـــوي" الـــحسّ وإن كان لا يـــدرك الكلـــيّ، فـــإنّ الكليّ لا يدركـــه العقـــل من نفســـه لا بـــدّ لـــه من ذلك من الـــحسّ". أعنـــي أن العقـــل لا يـــدرك الكليّ إلاّ بعـــد تكـــرار الـــجزئيّ عـــلّ الـــحسّ مـــرّات كثيـــرة فيجتمـــع منهـــا في العقـــل الـــمعنى الكليّ بفعـــل العقـــل نفســـه، ولكنّـــه فعـــل يتّخـــذ مسلـــك آخـــر غيـــر مسلـــك الـــحسّ" [31].

وفي دراستـــه حـــول نظريـــّات العلـــم عند أرسطـــو يقـــول Granger : "إنّ وصـــفا سيكولوجيـــّا معبّـــرا عن الإنطـــلاق عن الـــمستوى الإحســـاس إلى مستـــوى

---

[29] جيـــرار جهـــامي : م. س. ص 445.

[30] نـ. م.: ص 490.

[31] العلـــوي جـــمال الدّيـــن : "نظـــريّات البـــرهان ودلالتهـــا ..."